

الكونفوشيوسية في الصين

(دراسة تحليلية نقدية)

د. عالية صالح سعد القرني^(*)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين....وبعد،

فإن الحياة البشرية تزخر على مر العصور بكثير من الديانات والمعتقدات والطقوس منها ما كان عبادة لله وديناً سماوياً، ومنها ما هو أساطير وخرافات اتخذها الناس جهلاً عبادة ومذهباً. ومن هذه الديانات القديمة - التي ثار حولها الكثير من الآراء الديانة الكونفوشيوسية .

ترجع هذه الديانة إلى الفيلسوف كونفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مضيفاً إليها جانباً من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم، وقد انتهت في مرحلة تبلور أفكارها إلى عبادة إله السماء أو الإله الأعظم، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الآباء والأجداد.

(*) أستاذة العقيدة والمذاهب المعاصرة ورئيسة قسم الدراسات الإسلامية بكلية البنات ببلقرن جامعة الملك خالد .

وقد سيطرت الكونفوشية سيطرة شاملة على ما يسود في بلاد الصين من سياسة وفكر وثقافة وقيم وطقوس بشكل لم يتحقق مثيله لأي مذهب آخر من المذاهب المماثلة، فقد كانت مبادئ الكونفوشية أساس التعليم والتشريع ومادة امتحان لدخول الوظائف العامة إلى حين قيام الشيوعية في الصين؛ حيث حاول (ماو تسي تونغ) ومن معه وقف سلطان الكونفوشية، لكن ذلك لم يعطل كلياً فكراً ترسخ في مجتمع الصين وحضارة هذا البلد مئات السنين، فهي دين مئات الملايين في الصين الذين يقاربون خمس سكان المعمورة.

ثم ما لبثت الكونفوشية أن تغلبت على النزعة الشيوعية وانتصرت عليها، كما استطاعت أن تصهر البوذية في القالب الكونفوشي الصيني.

وفي هذا البحث سأتناول - بمشيئة الله تعالى - الحديث عن ملامح الكونفوشيوسية في الصين وأسباب عودتها مجدداً، وأثرها على المسلمين في الصين.

منهج البحث :

سأنهج في هذا البحث - بمشيئة الله تعالى - منهجاً تحليلياً نقدياً في عرض القضايا الأساسية لهذه الديانة وتحليلها ثم نقدها من المنظور الإسلامي، وبيان منطلقاتها من خلال المصادر المتوافرة. كما سأستخدم المنهج التاريخي في تتبع تاريخ هذه النحلة من خلال مصادرها .

ولما كانت الكونفوشية ذات طابعين ديني وفلسفي في وجهتيها المبكرة والجديدة، فإن من الملاحظ كثافة العرض في مقابل النقد الذي سيأتي ضمناً إما بالتعقيب أو بالرد، وغالباً ما سيكون الرد في مواضع الحاجة إليه.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة فيها لمحة موجزة عن الكونفوشية، ومنهج البحث وخطته.

ثم تمهيد في العقائد والأخلاق في الصين قبل كونفوشيوس. ثم الفصول على النحو التالي:

الفصل الأول: الكونفوشية ومؤسسها وتطورها. وفيه ثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف الكونفوشية.

المبحث الثاني: المؤسس .

أما الفصل الثاني: مصادر العقيدة الكونفوشية : وفيه مبحثان، وهما:

المبحث الأول: الكتب الخمسة القديمة.

المبحث الثاني: الكتب الأربعة لكونفوشيوس.

والفصل الثالث: المعتقدات الكونفوشية، وفيه ثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: الإله.

المبحث الثاني: الجنة والنار.

المبحث الثالث: القضاء والقدر.

والفصل الرابع: منهج الدعوة الكونفوشية. فقد اشتمل على مبحثين، هما:

المبحث الأول: الأخلاق.

المبحث الثاني: التربية والتعليم. وفيه مطلبان.

وفي الفصل الخامس: الطقوس والعبادات. وفيه مبحثان هما:

المبحث الأول: الطقوس.

المبحث الثاني: العبادات.

أما الفصل السادس : أسباب العودة إلى الكونفوشيوسية، فقد اشتمل على أربعة مباحث وهي:

المبحث الأول: البوذية الصينية وتأثيرها.

المبحث الثاني: التطور الذي شهدته التاوية الجديدة.

المبحث الثالث: التطور الذي شهدته مدرسة الأسماء.

المبحث الرابع: التطورات الميتافيزيقية في مدرسة (الينج - إيانج) التفاعلية.

الفصل السابع: أثر الكونفوشيوسية على المسلمين في الصين.

ثم الخاتمة والنتائج.

أسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد

العقائد والأخلاق في الصين قبل كونفوشيوس

اعترف الصينيون منذ أقدم عصورهم بوجود حاكم أعلى وأحد فوق كل الأرواح ، وفوق كل الناس اسمه (شانج تي) وهو القوة العليا المسيطرة على العالم، وقد اعتقدوا العدل فيه لدرجة أنه مهما صلى له الأشقياء فلن يقبل العفو عنهم أبداً، وعلى الرغم من ذلك فإن (شانج تي) لم يكن الإله الأعلى والأعظم، فالإله الأعظم سيد كل الآلهة اسمه (تيان) وهو السماء^(١).

أما عن عبادتهم فكانوا يعبدون الشمس والقمر وإله السماء والسيارات الخمس وأسلافهم (الأموات)^(٢) ، وكانت طقوس عباداتهم غناء ورقصا وموسيقى لإدخال السرور على قلب الإله، وتعد هذه الطقوس من أركان العبادات. كما كانت عبادات الآلهة مرتبطة بالممالك ونشأتها فلكل ملك إله، وطريق خاص بالعبادة، فإذا سقط الملك سقطت آلهته وعبادته، ونشأت عبادة وآلهة مغايرة للسابقة، ولم يكونوا يعتقدون بالشيطان ولا بالجحيم، وجاء وقت احتكر فيه الحكام عبادة الإله لأنفسهم بصفتهم وارثيه على الأرض^(٣).

وهناك أسطورة قديمة عند قدماء الصينيين عن بدء خلق الكون ترى أنه قبل خلق العالم لم يكن هناك شيء واستمر ذلك طويلاً، ثم ظهر شيء، ومن ذلك الشيء خلق (بان كو) ولم يذكر تاريخ الصين كم عاش (بان كو) ولكن

(١) انظر: قصة الديانات: سليمان مظهر، ص ١٨٨-١٨٩، ط عام ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، مكتبة مدبولي - القاهرة.

(٢) راجع قاموس الأديان: أسعد السحمراني، ص ٧٥، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، دار النفائس - بيروت.

(٣) انظر: العقائد: عمر عنایت، ص ٥٥-٥٦، ط عام ١٩٢٨، دار العصر - مصر.

يقولون إنه غاية في القوة، له رأس تتين وجسد أفعى وأنه استطاع أن يشكل العالم حوالي عام (٢٢٩،٠٠٠ ق.م) بعد أن ظل يكدح في عمله هذا ثمانية عشر ألف سنة، وعندما مات تجمعت أنفاسه فصارت ريحا وسحبا وأضحت أناته الأخيرة الرعد، وأصبح الدم في عروقه الأنهار، وعرقه الأمطار، وعظامه الصخور، وأسنانه المعادن، وشعره الغابات والأشجار ولحمه الأرض، ورأسه الجبال، وأصبحت عينه اليسرى الشمس واليمنى القمر، أما الحشرات التي كانت تعلق بجسمه فأصبحت الآدميين^(١).

كما كان الصينيون في تراثهم التقليدي يعتبرون الصين مركزا للكون وكانوا يسمونها (Chung-Kuo) وهو الاسم الصيني للصين وتعني (مملكة الوسط)^(٢).

كما اعتقدوا أن الأحداث الكونية تتبع الأخلاق التي تسود الناس وملوكهم، فكلما كان الاعتدال والانسجام والفضائل يسودان المعاملة بين الناس فالكون سائر في فلكه من غير أي اضطراب، وكلما حاد الإنسان عن الحق والسلوك القويم والفضيلة اضطرب بعض ما في الكون لمخالفة القانون الأخلاقي، وما الزلازل والخسوف والكسوف إلا أمارات للفساد الخلقي.

والسبب في ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن المؤثرات في الأكوان ترجع إلى ثلاثة:

١. السماء ولها السلطان الأعلى.

٢. الأرض لقبولها أحكام السماء.

(١) انظر: قصة الديانات: سليمان مظهر، ص ١٨٦. والإسلام في الصين: فهمي هويدي، ١٨٨، عالم المعرفة - الكويت.

(٢) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب: جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، ص ٢٢٣-٢٢٤.

٣. الإنسان بما يؤثره بإرادته^(١).

والإنسان مفطور على الخير عندهم، سالك الطريق القويم لو خلى وفطرته، ولكنه مع الفطرة الخيرية حي مستقل مفكر لا تمنع فطرته من النزوع إلى الشر وسلوك سبيله، أما غاية الفضيلة في عمومها وخصوصها عندهم فالكمال الإنساني والسعادة لبناء المجتمع وإقامة بنائه على التواد والتراحم والتعاطف.

وقوانين الأخلاق لا تنفصل عن السياسة عند قدماء الصينيين، فأقوم الأخلاق ينتج أقوم السياسة، وأحب أنواع الحكم، بل إن الحاكم لا يمكن أن يحمل الناس على الجادة من غير أن يحمل نفسه عليها، وإن الملك الذي لا يسوس الناس ونفسه بالأخلاق القويمة ينزل عليه غضب السماء، وينزع منه الملك، وبهذا استمر العدل قائماً مع وثنيته وندم تدينهم بدين سماوي^(٢).

هذه النظرة العامة للمعتقدات قبل كونفوشيوس، والتي ما زالت حتى بعد ظهوره وإن اكتسبت الصبغة الفلسفية الأخلاقية فيما بعد.

ولا يخفى على عاقل النزعة الخرافية الوهمية في تلك المعتقدات التي ما أنزل الله بها من سلطان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف/٥٤).

(١) انظر: مقارنة الأديان: محمد أبو زهرة، ص ٧٤، دار الفكر العربي - القاهرة.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٧٤-٧٦، وراجع: الفكر الشرقي القديم: جون كولر، ترجمة:

كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣١٧-٣١٩، ط عام ١٩٩٥م، عالم المعرفة - الكويت.

الفصل الأول

الكونفوشيوسية ومؤسستها وتطورها

المبحث الأول: تعريف الكونفوشيوسية

الكونفوشيوسية مذهب فلسفي اجتماعي سياسي ديني، يدين بها أهل الصين، وهي ترجع إلى الفيلسوف الحكيم كونفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم مضيفاً إليها من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم. إنها تقوم على عبادة إله السماء أو الإله الأعظم، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الآباء والأجداد^(١).

ولفظ الكونفوشيوسية مركب من كلمتين هما: (ونغ- فو -تس كونغ) أو (كونغ)، ومعناه : المعلم، و(فو-تس) أو (تس) فقط معناه : الحكيم أو حكيم. والمعنى: المعلم الحكيم، أو كنغ الفيلسوف^(٢).

والكونفوشيوسية: مذهب أو تعاليم وضعية تنتسب لكونفوشيوس الحكيم نشأت منذ ٢٥٠٠ سنة مضت في قرية تسيو بالصين قريبا من ولاية شانغونج في عصرنا الحاضر^(٣).

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف مانع الجهنوي، (٧٤٨/٢) ط٤، ١٤٢٠هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض.

(٢) انظر: مقارنات الأديان، محمد أبو زهرة، ص ٦٨، والمعتقدات الدينية لدى الشعوب: جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي ص ٢٣٨.

(٣) انظر: التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ، مطالعة في كتب علماء الملايو : رءوف شلبي ص ٩٩، دار الثقافة - الدوحة. وقصة الديانات: سليمان مظهر، ص ١٩٢-١٩٣.

د. عالية صالح سعد القرني

ويجمع معظم الباحثين في تاريخ الأديان على أن الكونفوشيوسية أقرب إلى ميدان الفلسفة منها إلى ميدان الدين والعقائد. فهي لا تعد عندهم إلا نسقا أخلاقيا وسياسيا واجتماعيا استمدته من الثقافة الموروثة. وأن كونفوشيوس الذي ترد إليه هذه الفلسفة لا يعدو أن يكون أحد الحكماء الذين قاموا بتهديب الموروث من العادات والتقاليد والأعراف^(١). متجاهلين بذلك المظاهر الدينية الكونفوشية من طقوس وعبادات وقرابين ومعابد وآلهة وغير ذلك من الأمور المعهودة في الديانات الوضعية القديمة.

ويبررون ما ذهبوا إليه بأن كونفوشيوس قد ظهر في عصر ازدهار الفلسفة الصينية الممتد من القرن السادس حتى القرن الثالث قبل الميلاد، وأن جل أفكاره جاءت مبررة للتغيرات السياسية والاجتماعية التي عاشها الصينيون آنذاك. وأن تعاليمه لا تعدو أن تكون نظرية أخلاقية فلسفية وإن بدت في ثوب ميثولوجي^(٢) أسطوري.

ذلك فضلا عن اعتراف كونفوشيوس نفسه بأنه ليس قديسا بل حكيما.

- (١) انظر: مدخل لدراسة الأديان، محمد يسري جعفر، ص ١٣٥.
- (٢) العلم المختص بدراسة الأساطير هو علم الميثولوجيا Mythologia ، وكلمة ميثولوجيا- كما يقول د. إبراهيم سكر صاحب كتاب "الأساطير الإغريقية - تستخدم للتعبير عن ثمرة إنتاج معين لخيال شعب من الشعوب في شكل حكايات وروايات يتناقلونها جيلا بعد جيل.. وكان الإغريق يسمون هذه الروايات والحكايات "ميثوي Mythoi ومعناها "ألفاظ وكلمات".. وعلى الرغم من أن كلمة ميثولوجيا لا تعني أصلا من ناحية الاشتقاق أكثر من "قصص الحكايات"، فإنها تستعمل الآن لتدل على الدراسة المنظمة للروايات التقليدية لأي شعب من الشعوب أو لكل الشعوب بقصد معرفة الطريقة التي تمت بها حتى أصبحت رواية تروى، وإلى أي مدى كان الاعتقاد بها، وكذلك بقصد حل المشاكل الأخرى المتعلقة بها مثل علاقتها بالدين، وأصولها، وعلاقتها بروايات أخرى لشعوب أخرى، وغير ذلك. انظر:

<http://www.bramjnet.com/vb3/showthread.php?t=٧٧٦٨١&page=٢>

الكونفوشيوسية في الصين

في حين يعدها بعض الدارسين تطوراً لديانة أسرة شانج^(١) - التي حكمت الصين من القرن السادس عشر حتى القرن الحادي عشر قبل الميلاد- تلك التي كانت تؤمن بالعرافة وعالم الروح وإمكانية الاتصال به ومخاطبته عن طريق الكهنة، وتؤله قوى الطبيعة بجانب أرواح الموتى التي عرفت بنحلة الأرواحية^(٢) التي عملت أسرة تشو- التي حكمت الصين من ١٠٢٧ إلى ٧٧١ ق. م - على ترسيخها حتى أضحت أقوى الديانات الشعبية الصينية آنذاك.

وقد ذهب أنصار هذا الاتجاه إلى اعتبار كونفوشيوس مهذباً لهذه الديانة وأنه نجح بإصلاحاته وتقويماته في تطويرها وستشهدون على صحة آرائهم بهائتيك التعاليم والمبادئ التي انتحلها كونفوشيوس من ديانة أسرة تشو باعتبارها الأصول الروحية والتراثية المقدسة لدعوته الجديدة المتمثلة في إقراره بنظرية

(١) شانج: الأسرة المالكة التي يبدأ بها التاريخ المسجل للصين، وتختلف الروايات بشأن مدة حكمها للبلاد، فهناك من يرى أنه حكمها استمر إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وهناك من يرى أن حكمها قد استمر من القرن السادس عشر حتى القرن الحادي عشر قبل الميلاد. انظر: الفكر الشرقي القديم ، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، هامش ث ٣٣١.

(٢) إحدى النحل التي تؤمن بأن العالم مكون من كائنات روحية، وأن هناك ملكات غير محسوسة كامنة وراء الإحساسات والعقل. وأن التفكير والإبداع الفني وليد الإلهام الذي أحدثه نشاط غير عادي لهذه الملكات. وتعتقد كذلك في نظرية الطرح الجزئي الذي تقضي بأن الأرواح البشرية تقوم بسياحات كونية بعيداً عن الجسد أثناء النوم وقد تتحد بالروح الكلي أو تهبط لمحادثة أرواح الجن والعمارة أو تتصل بأرواح الكائنات الدنيا كالحيوانات والنباتات والحشرات والجمادات. ويعد هذا الاعتقاد من أقدم المعتقدات الروحية المعروفة في الديانات الشعبية العريقة. انظر: مدخل لدراسة الأديان، محمد يسري جعفر، هامش ص ١٣٦. والمعتقدات الدينية لدى الشعوب: جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، ص ٢٢٧.

د. عالية صالح سعد القرني

التتصيب السماوي لحكماء الصين وقدرية حركة التاريخ التي تولد وتبقى وتنفى بمقتضاها الحضارات، وإيماننا بوجود الموجود الأسمى إله السماء، ذلك فضلا عن تقديس الصينيين له باعتباره إلهها معبودا تقدم له القرابين.

وما زال هذا الخلاف قائما بين الباحثين المعاصرين حول طبيعة الفكر الكونفوشيوسي^(١).

والكونفوشيوسية التي هي إحدى الديانات المعاصرة الحديثة ترد أصولها ومعظم تعاليمها إلى كونفوشيوس، أما تأويلاتها فتزد إلى تلاميذه وأتباعه.

المبحث الثاني: التعريف بالمؤسس

أولا: نسبه وموطنه.

الاسم المشهور في الصين (كونغ فوتس) ومعنى (فوتس): الحكيم أو الأستاذ، و(كونغ) هو الاسم. فمعنى التركيب الأستاذ أو الحكيم (كونغ): وقد حرف الغربيون التركيب إلى (كونفوشيوس)^(٢). اسمه الحقيقي (تشيمو)^(٣).

ولد ذلك الحكيم عام ٥٥١ قبل الميلاد بإحدى قرى مقاطعة (لو)^(٤) من أعمال ولاية شاننتج من الصين، وكانت أسرته عظيمة تمت في نسبها إلى فرع ملكي، ولقد كان أبوه قائدا وحاكما لإحدى المدن، وقد وهب الله له ذلك الابن

(١) انظر: مدخل لدراسة الأديان، محمد يسري جعفر، ص ١٣٥ - ١٣٧.

(٢) انظر: مقارنة الأديان الديانات القديمة، محمد أبو زهرة، ص ٦٨.

(٣) انظر: قصة الديانات، سليمان مظهر، ص ١٩٢.

(٤) ولاية صغيرة عاصمتها (ليو - يانج) وهي هومان حاليا. انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، هامش ص ٣٥٦.

الحكيم عنى كبر، ومات الأب عن ابنه عند بلوغه الثالثة من العمر^(١). فترعرع في كنف أمه التي عاشت على الكفاف وقضى الابن في الفاقة ممتهنا التدريس وتزوج وهو ابن التاسعة عشرة وأنجب ابنا وبنتين^(٢).

ثانيا : النشأة الأولى

نشأ كونفوشيوس نشأة دينية، وعمل برعي الأغنام والإشراف على الحقائق والأشغال العمومية عند أحد الأمراء وقام بتتقيف ذهنه بقراءة التاريخ وحفظ الشعر وسماع الموسيقى، ثم ارتحل بعد ذلك وراح يبشر بحكمة أخلاقية جديدة وأنشأ مدرسة لذلك وهو في الثانية والعشرين^(٣).

عاش كونفوشيوس في مجتمع يسوده الإقطاع والفوضى وتمزقه الحروب^(٤)، فكانت الصين تنقسم منذ أبعد القرون إلى قسمين: القسم الأول: النبلاء والأرستقراطيون، والقسم الثاني: الشعب، ولم يكن يحكم بالقانون المدني ولا يخضع له إلا الشعب، أما الأرستقراطية فكانوا يخضعون لأدب اللياقة المفعم بالتقاليد العالية الموروثة عن العناصر الممتازة والملتقاة من المنازل النبيلة وعن الأساتذة العظماء.

لذا فكان هذا الأدب له مكان القداسة عند كونفوشيوس؛ لأنه كان بمنزلة قانون مدني مستقى من القانون الأخلاقي العام غير المكتوب، ولكن على الرغم

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٦٨.

(٢) انظر: التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، مطالعة في كتب علماء الملايو: رءوف شلبي ص ١٠١، ومقارنة الأديان الديانات القديمة، محمد أبو زهرة، ص ٦٨-٦٩.

(٣) انظر: مدخل لدراسة الأديان، محمد يسري جعفر، هامش ص ١٣٧.

(٤) انظر: قاموس الأديان: أسعد السحمراني، ص ٧٦. والفكر الشرقي القديم، جون كولر،

ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٣٣

د. عالية صالح سعد القرني

من ذلك تفشى في ذلك العصر تدهور الأخلاق المريع، إلى الحد الذي أرق جميع الفلاسفة الذين اشتغلوا بالسياسة العامة وأخذوا يفكرون في طريقة لعلاج هذا الوباء، ولما جاء كونفوشيوس ودرس بإمعان أحوال العصر وظروفه، اقتنع بأن قانون العقوبات عاجز كل العجز عن القضاء على الرذائل أو تقليلها حتى لو تخطى الشعب إلى الأرستقراطية وأيقن أن السبب في ذلك أن الارستقراطية قد فسدت وأن النبلاء فقدوا نبل القلوب وأصبح الاسم غير منطبق على المسمى فاندفعوا وراء الرذائل والآثام ورآهم الشعب على هذه الحال فحاكاهم وبهذا تم التدهور وساء الحال^(١).

ثالثاً: أطوار حياته.

أدرك كونفوشيوس أنه في حاجة لتعلم الحكمة العقلية والدينية فارتحل برفقة أحد تلاميذه إلى مقاطعة تشو وتلمذ هناك على الفيلسوف الصيني لاوتسو^(٢) (نحو ٦٠٤ ق. م) - وهو مؤسس الديانة التاوية^(٣) وصاحب كتاب الطريق والفضيلة - وتعلم الموسيقى على هيسانج نسي وتعلم كذلك الحساب

(١) انظر: الفلسفة الشرقية: محمد غلاب، ص ٢٧٠ - ٢٧١، ط عام ١٩٣٨م، مطبعة البيت الأخضر - القاهرة.

(٢) صاحب النحلة الصينية المعروفة بالتاوية، ولد لوتس قبل كونفوشيوس بأكثر من خمسين سنة. وقد تولى بعض الأعمال ولكنه اعتزل في آخر حياته وعكف على حياة الزهد والتأمل الفلسفي، وقد جمعت أحاديثه وآراؤه في كتاب يسمى: كتاب الأخلاق، وبين فلسفته الخلقية وفلسفة كونفوشيوس خلاف قوي، فالأول يدعو إلى القناعة والزهد والتسامح المطلق، والثاني يدعو إلى طريق لا إفراط فيه ولا تفريط ومقابلة السيئة بسيئة مثله. انظر: مقارنة الأديان الديانات القديمة، محمد أبو زهرة، هامش ص ٦٩.

(٣) التاوية: التاو كلمة صينية : الطريق أو السبيل، ويقصد بها الطريق الصحيح، طريق السماء، وهو مذهب يقوم على التأمل ومخاطبة الأحاسيس، وقد عمل أتباعه باحثين عن إكسير الحياة كيميائياً. (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ٧٣٥/٢)

وقيادة العربات والرسم والرماية والطقوس الدينية على كثير من حكماء الصين الذين قابلهم في ترحاله^(١).

تقلب كونفوشيوس في المناصب الحكومية مدة عمره إلا أنه ما لبث أن جمع حوله تلاميذه الذين أخذوا عنه الفلسفة بلا مقابل، وعاش في شهرته كما يعيش عامة الناس، ولما وصل عمره إلى الرابعة والثلاثين كان عدد تلاميذه ثلاثة آلاف تلميذ، وكلما كثر التلاميذ كثر الأتباع^(٢).

ولما بلغ الثانية والخمسين من عمره عين قاضيا فعدل حتى أطلق على مقاطعة شانج المدينة الفاضلة نظرا لعدالة كونفوشيوس في تسييسها وحكمته^(٣). ولكن اضطره حساده للانسحاب من القضاء، وقد أهله كياسته في السياسة إلى بلوغ منصب رئيس لوزراء دوق مدينة لو، وقد بلغت حكمته السياسية مداها واخترقت شهرته الآفاق حتى لقبه الصينيون بالمعلم الداهية، وراح أمراء الصين يستشيرونه في كيفية تدبير شئون مقاطعتهم.

ثم ما لبث حساده وحساد أمير المقاطعة -لعدله- يدبرون المكيدة تلو الأخرى للإطاحة به وقد أفلحوا في ذلك على الرغم من تنبيه كونفوشيوس للأمير ونصحه ففر الأمير هاربا خوفا من القتل وفر كونفوشيوس من الولاية مع مريديه لمدة خمسة عشر عاما جديدة للبحث عن حاكم يسأل عن الخير والسعادة لشعبه فلم يجدوا، ثم عاد كونفوشيوس إلى موطنه (لو) بعد أن تغير الأمير، وطلبه أمير الولاية الجديد أن يكون مستشارا له غير أن الحكيم قرر أن

(١) انظر: مدخل لدراسة الأديان، محمد يسري جعفر، هامش ص ١٣٧

(٢) انظر: التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، مطالعة في كتب علماء الملايو: رءوف

شليبي ص ١٠١، و مقارنة الأديان الديانات القديمة، محمد أبو زهرة، ص ٦٨-٦٩.

(٣) انظر: مدخل لدراسة الأديان، محمد يسري جعفر، هامش ص ١٣٧.

د. عالية صالح سعد القرني

يقضي سنوات عمره الباقية في عزلة أدبية منصرفا إلى كتابة الشعر ونشر روائع الكتب الصينية القديمة وكتابة تاريخ الصين ، وكان يرجو من ذلك أن تنتقل آراؤه إلى جميع أنحاء الصين، وأن يعمل أتباعه ومريدوه على نشر تعاليمه (١) .

توفي كونفوشيوس في مدينة (لو) مسقط رأسه ودفن على نهر (إستس)، وذلك عام (٤٧٩ ق.م) عن عمر يناهز (٧٢) عاما، وقد تجمع حول مقبرته تلاميذه وعائلاتهم حتى أضحت هذه المنطقة قرية قديمة أطلق عليها (كونج أو كنج)، واستحال قبره إلى معبد تقام عنده الذبائح وحفظت في هذا المعبد ملابسه وآلاته الموسيقية وكتبه وعرباته .

وقد بالغ تلاميذه وأتباعه في تعظيمه حتى رفعوه إلى مصاف الآلهة الإمبراطور الأول لأسرة هان أي حوالي عام ٢٠٦ ق.م ، عبد كونفوشيوس مع آلهة الصين وقدمت لروحه القرابين (٢) .

رابعاً: قضية الوجود التاريخي لكونفوشيوس.

تجمع المصادر على حقيقة وجود كونفوشيوس بوضعه حقيقة تاريخية، استطاع أن يؤثر في الصين، كما ظل موضوع إجلالهم واحترامهم لألفي سنة، إلا أن هناك من تكلم عن كونفوشيوس الذي قدمته الأساطير على أنه معلم جوال

(١) انظر: العقائد: عمر عنایت، ص ١٠١، وفلاسفة إنسانيون : كارل ياسبرس، ترجمة : عادل العوا ، ص ١١٥ وما بعدها، منشورات عويدات - بيروت - لبنان، والأديان في كفة الميزان : محمد الهاشمي، ص ٢٧-٢٨، دار الكتاب العربي- القاهرة.

(٢) انظر: مدخل لدراسة الأديان، محمد يسري جعفر، هامش ص ١٣٨، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٧٤٩/٢)، وموسوعة السياسة- المؤسسة العربية للدراسات والنشر: (٢٨٨/١٥)، ط ١، ١٩٨٧م، بيروت.

ومحبط يئس أن يضع حاكم مدينته تعاليمه موضع التنفيذ ، فارتحل إلى ولايات مجاورة لم يجد فيها إلا نفس الإهمال والاستقبال العدائي، ولم يعترف بفضله في أيامه إلا حلقة صغيرة من الأتباع والمريدين، وكان لا بد من مضي قرون قبل أن تسود تعاليمه ومات وهو يشعر بالإحباط^(١).

وكونفوشيوس الأسطورة لا يعني بالضرورة أن كونفوشيوس الحقيقة لم يكن له وجود تاريخي، لإجماع المصادر على وجوده ووجود أثر فلسفته بعده. **خامسا: أخلاقه الشخصية.**

كان كونفوشيوس دمثا ، مرحا ، مؤدبا ، يحب النكتة ، يتأثر لبكاء الآخرين ، يبدو قاسيا وغلظا في بعض الأحيان ، طويلا ، دقيقا في المأكل والملبس والمشرّب ، مولعا بالقراءة والبحث والتعليم والمعرفة والآداب .

كما كان مغرما بالبحث عن منصب سياسي بغية تطبيق مبادئه السياسية والأخلاقية لتحقيق المدينة الفاضلة التي يدعو إليها .

وهو خطيب بارع ، ومتكلم مفعّو ، لا يميل إلى الثرثرة ، وعباراته موجزة تجري مجرى الأمثال القصيرة والحكم البليغة .

كان لديه شعور ديني ، يحترم الآلهة التي كانت معبودة في زمانه ، ويدأوم على تأدية الشعائر الدينية ، يتوجه في عباداته إلى الإله الأعظم أو إله السماء ، يصلي صامتا ، ويكره أن يرجو الإله النعمة أو الغفران ؛ إذ إن الصلاة لديه ليست إلا وسيلة لتنظيم سلوك الأفراد ، والدين - في نظره - أداة لتحقيق التآلف بين الناس .

(١) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب: جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، ص ٢٤٠.

د. عالية صالح سعد القرني

كان يغني ، وينشد ، ويعزف الموسيقى ، وقد ترك كتاب الأغاني Book of Songs كما أنه كان مغرمًا بالحفلات والطقوس إلى جانب اهتمامه بالرماية وقيادة العربات والقراءة والرياضة (الحساب) ودراسة التاريخ^(١).

عرف كونفوشيوس العمل الشاق، والمعاناة والمسئولية في سن مبكرة، وأدرك من خلال الفقر، وسوء استخدام السلطة السياسية، والشدة والضيق التي أثرت في حياة الناس العاديين، ولا شك أن هذه الخلفية قد ساعدته على فهم كل من الحكومة ومشكلات الناس العاديين^(٢).

وكان له طريقة في الحياة الخاصة والسلوك الاجتماعي والسلوك السياسي . فمذهبه يقوم على حب الناس وحسن معاملتهم والرقّة في الحديث والأدب في الخطاب . ونظافة اليد واللسان . وأيضاً يقوم مذهبه على احترام الأكبر سناً و الأكبر مقاماً ، وعلى تقديس الأسرة وعلى طاعة الصغير للكبير وطاعة المرأة لزوجها . ولكنه في نفس الوقت يكره الطغيان والاستبداد . وهو يؤمن بأن الحكومة إنما أنشئت لخدمة الشعب وليس العكس . وأن الحاكم يجب أن يكون عنده قيم أخلاقية ومثل عليا . ومن الحكم التي اتخذها كونفوشيوس قاعدة لسلوكه تلك الحكمة القديمة التي تقول : " أحب لغيرك ما تحبه لنفسك " . وكان كونفوشيوس محافظاً في نظرته إلى الحياة فهو يرى أن العصر الذهبي للإنسانية كان وراءها - أي كان في الماضي . وهو لذلك كان يحن إلى الماضي ويدعو الناس إلى الحياة فيه^(٣) .

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٧٤٩/٢)

(٢) انظر: الفكر الشرقي القديم : جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٣٣.

(٣) <http://mahjoob.com/en/forums/printthread.php?t=١٦٤١٣٣>

وفي تطواف كونفوشيوس كان يروض نفسه على الأخلاق القويمة، حتى استطاع أن يقول عن نفسه التي أشرف على تهذيبها وتكميلها- ما حكى عنه أنه قال في كتاب المحاورات: "انصرفت إلى طلب العلم وأنا في الخامسة عشرة من سنين وفي الثلاثين التزمت جادة الفضيلة ، وفي الأربعين لم يكن في نفسي أي ريب في حقائق الأشياء، وعلمت القضاء والقدر وأنا في الخمسين، وأصغت أذني إلى كل الحق عارفا فاهما وأنا في الستين، ولم أتجاوز حدود السلوك القويم وأنا في السبعين"^(١) .

وهكذا ظل كونفوشيوس يعتبر نفسه صاحب فلسفة معتدلة، وكان يقول في ذلك : هناك صنفان من الناس لا يمكنهما الاستفادة من فلسفتي، أحكم الحكماء وأغبي الأغبياء، وكان تلاميذه يعتقدون أنه تخلص من أربعة عيوب اتصف بها سائر الناس:

١. عدم جداله في أمور أصدر فيها حكما سابقا بينه وبين نفسه.
٢. عدم اتصافه بالأنانية والعناد.
٣. عدم توجهه نحو الحصول على المناصب الكبيرة، والاكتماء بأن يكون جديرا بتلك المناصب.
٤. عدم بحثه عن الشهرة ولكنه أعد نفسه كي يكون خليقا بالشهرة^(٢).

سادسا: ثقافته

عندما بلغ كونفوشيوس الثالثة من عمره مات أبوه وترك زوجته ضحية لفقر مدقع، ومع ذلك استطاعت هذه الأرملة أن توفر لابنها الوحيد تعليماً طيباً،

(١) نقلا عن: مقارنات الأديان، الأديان القديمة: محمد أبو زهرة، ص ٧٠.

(٢) انظر: النظرية التربوية في الإسلام، محمد جميل خياط، ص ٨٢-٨٣، ط عام

١٤٠٧هـ، مكة المكرمة.

أثار إعجاب معلّميهِ الذين أثّروا على اهتمامه بالدراسة وفهمه للأشياء ، وتكهّنوا له بمستقبل باهر ^(١).

تلقّى علومه الفلسفية على يدي أستاذه الفيلسوف "لوتس" صاحب النحلة التأوية وصاحب كتاب الطريق والفضيلة ؛ حيث إنه يدعو إلى القناعة والتسامح المطلق، ولكن كونفوشيوس خالفه فيما بعد داعياً إلى مقابلة السيئة بمثلها وذلك إحقاقاً للعدل. - وتعلم الموسيقى على هيسانج تسي ^(٢) وتعلم كذلك الحساب وقيادة العربات والرسم والرماية والطقوس الدينية على كثير من حكماء الصين الذين قابلهم في ترحاله ^(٣).

استند كونفوشيوس بوصفه فيلسوفاً إلى نصوص كتاب الأغاني وكتاب الوثائق التاريخية ولجأ إليها باعتبارها سلطته المرجعية، وكانت رؤيته بوصفها منظراً سياسياً رؤية محافظة أما برنامجه فهو استعادة التراث المبكر والمحافظة عليه ^(٤)، وهو يعلن أنه إنما: "ينقل ما تعلمه دون أن يخترع من عنده شيئاً" ^(٥).

سابعاً: منهجه في التربية والتعليم

كان الصينيون قبل كونفوشيوس يعطون للتدوين والكتابة هالة معينة، بحيث لا يكون التدوين إلا لبعض الأمور الطقسية والشعائرية أو لأرشف

(١) http://www.qomicis.com/farsi/library/tarikh_advan/alsin.htm

(٢) لم أجد له ترجمة فيما توافر لدي من مراجع.

(٣) انظر: مدخل لدراسة الأديان، محمد يسري جعفر، هامش ص ١٣٧

(٤) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام،

مراجعة: عبد الغفار مكاوي، ص ٢٣٩

(٥) المختارات (١/٧) نقلاً عن: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة: إمام

عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، ص ٢٣٩.

الحكومات، ولم يكن التأليف الفردي معتمداً، ولكن كونفوشيوس كان أول من كسر هذا التقليد، وأسند إلى نفسه مهمة الكتابة لتوعية معاصريه بما ينشره من مبادئ وقيم أخلاقية واجتماعية تدور حول شئون السلطة وإدارة المجتمع، لم يذهب كونفوشيوس باتجاه الحديث عن أمور ما وراء الطبيعية، ولا بحث في نظام الكون وسننه، ولا هو أولى جلّ اهتمامه للبحث في المادة والماديات وظواهر الطبيعية ومظاهرها، وإنما تركّز اهتمامه على الإنسان.

وسرّ نجاح مشروع كونفوشيوس الفكري في أنه عكف على مجتمعه باحثاً في أزماته وقضاياه التي تمسّ حياة المواطن من الجوانب كافة، وعاد إلى تراث بلاده، ومن ذلك خرج بأفكاره الإصلاحية التي تنطلق من الإنسان والمجتمع من أجل الإنسان، فكان لأفكاره القبول العام بسبب ذلك^(١).

ركّز كونفوشيوس على دور التربية والتعليم لتنشئة الأجيال وإعدادها، والتربية عنده يجب أن تغرس الشعور بالمسؤولية، وروح العمل الجماعي، أما التعليم فيجب أن يكون شاملاً، ومن المتعلمين يجب أن يتم اختيار أصحاب المناصب الإدارية الحساسة، فالتعليم هو المعيار عنده لا الانتماء الاجتماعي^(٢).

(١) <http://www.iraqcenter.net/vb/showthread.php?t=٨٩٦١>، والمعتقدات الدينية

لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، ص ٢٣٩.

(٢) http://www.qomicis.com/farsi/library/tarikh_adyan/alsin.htm

الفصل الثاني

مصادر العقيدة الكونفوشية

يجمع المعنيون بمقارنة الأديان على أن الكتب الكونفوشيوسية المقدسة تحمل طابعا يميزها عن مثيلاتها في الديانات المختلفة ، ويرجع ذلك إلى أن صفة القداسة التي وسمت بها تلك الكتب لا ترد على قوى غيبية عليا- وحي- حديث الأرواح السماوية- ولا ترجع كذلك إلى مؤسسها الذي طالما أكد أنه ليس بمبتدع في تعاليمه^(١). بل أكد أن حكمه مستقاة من تراث الأجداد الزاخر، وأن تعاليمه ما هي إلا إحياء لسنن سابقه عليه ، ولم يصرح بأنه يأتيه الخبر من السماء إلا في شذرات محدودة يراها البعض انتحالا عليه من قبل بعض تلاميذه الذين غالوا في تبجيله، فزعموا أنه مفوض من السماء لهداية البشرية ، ووسموه بأنه " معلم الجنس البشري"، واعتبروا كتابه المنتخبات بمنزلة الإنجيل الكونفوشي ، وفسروا وصيته لتلاميذه بحفظ حكمه وتبليغها من بعده باعتبارها وصية نبي^(٢) .

أما العقيدة الكونفوشية فقد جاءت ممثلة في مجموعتين أساسيتين من الكتب بما فيها التعليقات والشروح والتلخيصات، المجموعة الأولى تسمى الكتب الخمسة القديمة، والثانية تسمى الكتب الأربعة لكونفوشيوس.

(١) وهو يعلن أنه إنما: "ينقل ما تعلمه دون أن يخترع من عنده شيئا". المختارات (١/٧) نقلا

عن: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام،

مراجعة: عبد الغفار مكاوي، ص ٢٣٩

(٢) انظر: مدخل لدراسة الأديان، محمد يسري جعفر، ص ١٥٠.

وهذه الكتب لا تدخل ولا تتدخل كثيرا فيما يضح أن نسميه الإلهيات، ولا تبحث في الألوهية والخلق أو فيما وراء الطبيعة ، بقدر ما نجدتها تتجه إلى الأحداث والوقائع أو الأخلاق أو السياسة، فالمجتمع وإدارته ونظامه والحكم والقضاء والعدل هي الأمور التي تدور حولها في الأغلب هذه الكتب ^(١).

المبحث الأول: الكتب الخمسة القديمة:

استمد كونفوشيوس بعض أفكاره من عصور سابقة، وهي الكتب الكلاسيكية الخمسة، يختص كل واحد منها بموضوع يختلف عن الآخر، وهي تعتبر من أقدم الكتب الإنسانية، ومع ذلك فإن العلماء لا يعتمدون عليها كل الاعتماد نظرا لأنه ثبت أن كونفوشيوس كتب معظمها ملخصا بأسلوبه الخاص، وهذا لا يعني اتهامه بتشويه هذه الكتب، ولكنه بإقراره بأنه لم يأت في مذهبه بجديد، لذا فقد خشي الباحثون المحدثون أن يكون قد ألغى من هذه الكتب ما ليس نقيا في نظره؛ لأن العالم يهمه أن يجد الآثار التاريخية ليستطيع أن يستخلص منها الحقائق في حياد تام ^(٢).

أولا: كتاب الأغاني أو الشعر.

وهو مختارات من الشعر الصيني المبكر وترنيمات لملوك أسرة (تشو)، وله أهمية خاصة بوصفه أول تعبير أدبي للصينيين عن المشاعر الدينية، ويشتمل على عدة ترنيمات وابتهالات واعترافات موجهة إلى الأسلاف من الملوك، وتراتيل قصصية تروي للآلهة أعمال البسالة وأخبار المعارك وأغاني

(١) انظر: قاموس الأديان: أسعد السحمراني، ص ٦٢-٦٣.

(٢) انظر: الفلسفة الشرقية: محمد غلاب، ص ٢١٤، والفكر الشرقي القديم، جون كولر،

ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٢٠.

د. عالية صالح سعد القرني

تشيد بمحاسن الملك وأخرى عهود من الكهنة والرعية للطاعة له بوصفه الحاكم المختار من قبل السماء.

وتحدثنا بعض الكتابات عن أن نصيب كونفوشيوس من هذا المصنف يتمثل في تلك الأناشيد الأخلاقية والترنيمات المنغمة التي تشرح أهمية الموسيقى في أداء الطقوس الدينية أثناء تقديم القرابين.

فالكتاب مجموعة من الأشعار يعود تاريخها إلى عهد (تشو)، وتتألف من ٣٥٠ أغنية وستة نواشيع تغنى بمصاحبة الموسيقى، يتناقلها الناس في أنحاء الصين في العصور المختلفة.

ثانيا: كتاب التاريخ

ويحوي تاريخ أباطرة الصين وملوكها ويحوي وثائق مهمة من التاريخ الصيني، هذا بالإضافة إلى قصص تظهر سمو الأخلاق والطباع من الصين الإمبراطورية الموحدة قبل عهد كونفوشيوس ؛ حيث يظن أن حكامها كانوا أبطالاً يعملون في غير أنانية لتمدين الشعب ورفع مستواه، ويتحدث عن المرحلة من عام (٢٠٠٠ ق.م حتى ٧٠٠ ق.م) ^(١).

وقد تعرض هذا الكتاب أكثر من غيره إلى التشويه والتبديل؛ ذلك أنه لما أمر الإمبراطور (الشين شي - هوانج - تي) بإحراق الكتب افتقد الناس كتابي (شوكنج) و(شي كنج) فلم يجدوهما فاضطروا إلى أن يستسخوها من

(١) انظر: قاموس الأديان : أسعد السحمراني، ص ٦٠-٦١، والعقائد: سليمان مظهر، ص ٥٩. والفكر الشرقي القديم ، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٢٠.

جديد، وقد اعتمدوا في هذا كله على ذاكرة أحد علمائهم ، ولهذا السبب أصبح كثير التحريف والتشويه^(١).

ثالثا: كتاب التغييرات أو التحول

وهو مجموعة من الصياغات لتفسير الطبيعة تستخدم على نطاق واسع في أغراض العرافة، ويعزى هذا العمل تقليديا إلى وينج وانج ١٠٠ ق.م، فهو يحوي صيغا سحرية وتعاويذ، وفيه نصوص تدور حول تفسير الظواهر الكونية والطبيعية، فهو يتطرق إلى موضوع الطبيعة (ميتافيزيقا^(٢)) الذي حرص كونفوشيوس على ألا يقترب منه^(٣).

رابعا: كتاب الربيع والخريف

ويطلق عليه: حوليات الربيع والخريف، وهو سجل لوقائع الأحداث ومجريات الأمور في (لو) موطن كونفوشيوس، وذلك من سنة (٧٢٢ ق.م) إلى سنة (٤٦٤ ق.م) قام كونفوشيوس بتجميعه وقام من بعده الكتاب الصينيون بشرحه وتفسيره والتعليق عليه، كما ظهرت له تفاسير خاصة عرفت بالتفاسير السرية كتبت في عهد أسرة هان، ويحتوي على الأفكار الدينية التي كانت سائدة في تلك الحقبة ونصوص بعض المعاهدات والطقوس الخاصة بالزواج والوفاة في البيت الملكي ؛ وبعض الأحداث المشئومة مثل ظهور مواليد مشوهة أو الكوارث الطبيعية.

(١) انظر: الفلسفة الشرقية : محمد غلاب، ص ٢١٥.

(٢) إي ما وراء الطبيعة.

(٣) انظر: الفلسفة الشرقية، محمد غلاب، ص ٢١٤-٢١٥، والعقائد، ٥٩. والفكر الشرقي

القديم ، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام،

ص ٣٢٠.

د. عالية صالح سعد القرني

ويشيد بعض الباحثين بالشروح التي كتبت لهذا الكتاب ومنهم من ارتأى أنها أهم من المتن الذي قام كونفوشيوس بوضعه (١).

خامسا: كتاب الطقوس أو سجل المراسم

ويحوي وصفا للطقوس الدينية الصينية القديمة بالإضافة إلى مجموعة من القواعد التي تنظم السلوك الاجتماعي، وتشير بعض الدراسات إلى أن هذا الكتاب قد تم وضعه بعد كونفوشيوس، ولكنه يمثل بصورة جيدة القواعد والعادات التي تعود إلى عصور سابقة، فهو تاريخ لتطور الأفكار الدينية في بلاد الصين عبر العصور (٢).

المبحث الثاني: الكتب الأربعة لكونفوشيوس.

الكتب الأربعة لكونفوشيوس هي نصوص منسوبة لكونفوشيوس نفسه، ومنها ما يكون لبعض تلاميذه، وقد دونت بعده مضافا إليها بعض التفسيرات أحيانا (٣).

أولا: العلم العظيم

وهو يضم تعاليم كونفوشيوس التي تحتوي اقتراحاته الخاصة بنظام الحكم، ويعكس هذا الكتاب تطوير هسون تسو لفكر كونفوشيوس (٤).

(١) انظر: مدخل لدراسة الأديان: محمد سري جعفر ص ١٥١، وقاموس الأديان: أسعد السحمراني، ص ٦١، والعقائد: سليمان مظهر، ص ٥٩، والفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٢٠.

(٢) انظر: قاموس الأديان: أسعد السحمراني، ص ٦١، والعقائد: سليمان مظهر، ص ٥٩ والفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٢٠.

(٣) انظر: : مدخل لدراسة الأديان: محمد سري جعفر ص ١٥٢.

(٤) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٢٠.

ثانيا: كتاب الانسجام المركزي.

كتبه حفيد كونفوشيوس (تزتس)^(١) ، ويعتبر من المؤلفات الأربعة التي كتبها تلاميذ كونفوشيوس وأتباعه لعرض المبادئ الكونفوشية ونشرها بين الناس^(٢).

ثالثا: كتاب المنتخبات أو (إنجيل كونفوشيوس)

جمعت تعاليم كونفوشيوس في كتاب عنوانه "المختارات" أو "المنتخبات" وهي تشتمل على عشرين فصلا، يتألف كلا منها من مجموعة من الجمل أو الفقرات من أقوال المعلم التي سجلها تلاميذه، ومن المرجح أن يكون تاريخ بعض أجزاء المختارات سابقا على وجود كونفوشيوس، ولكنه في مجمله جزء من الشريعة الكونفوشية المقدسة التي ظلت تدرس قرنا بعد قرن. وكان الصينيون يعتبرونه إنجيل كونفوشيوس المقدس^(٣).

رابعا: كتاب منسيوس

وهو شروح على متن مبادئ كونفوشيوس، كتبها منسيوس، الذي يعد من الشراح الأوائل لكونفوشيوس، وقد كتب على غرار المختارات، ويحتوي على أقوال منسيوس وحكايات توضيحية وحكم وأمثال سائرة، وقد امتاز ببساطة

(١) لم أجد له ترجمة فيما توافر لدي من مراجع.

(٢) انظر: : مدخل لدراسة الأديان: محمد سري جعفر ص ١٥٢.

(٣) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام،

مراجعة: عبد الغفار مكاوي، ص ٢٤١. ومدخل لدراسة الأديان: محمد سري جعفر

ص ١٥١.

د. عالية صالح سعد القرني

أسلوبه والإسهاب في شرح التعاليم، ويعاب عليه تشتت أفكاره وتبعثر آرائه التي قام فيها بتأويل الكتابات السابقة عليه^(١).

ولقد بدا لي من خلال المصادر الكونفوشية أسماء لكتب أخرى يعدها الكونفوشيون ضمن كتبهم المقدسة، وهي: كتاب المقتطفات الأدبية أو الشذرات، وكتاب ترنيمات الشامان، وكتاب القصائد، وكتاب الشعائر^(٢).

وهنا نقف عند صفة القداسة التي يضيفها الكونفوشيون على كتبهم، فإن ذلك لا يعدو أن يكون إكباراً وتجيلاً لموروث فاسد، يضم بين جنباته كما هائلاً من الآداب والأشعار والأساطير، وهو الأمر الذي يصرف صفة القداسة عن دلالتها ومعناها، فالمقدس عندهم من صنع أيديهم، على حين أن الأمر يختلف تماماً في الأديان السماوية وفي الإسلام على وجه الخصوص.

فالقداسة في الدين الإسلامي محصورة في القرآن وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما دونهما قابل للنقد والنقض.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ (الزمر/٢٣)

(١) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاي، ص ٢٤١. ومدخل لدراسة الأديان: محمد سري جعفر ص ١٥٣.

(٢) انظر: مدخل لدراسة الأديان: محمد سري جعفر، ص ١٥١-١٥٣.

الفصل الثالث

المعتقدات الكونفوشيوسية

تخرج كونفوشيوس على التعاليم الدينية التي كانت سائدة عند الصينيين الأقدمين، فقد لقنها صغيرا، ولذا أحيا التعاليم الدينية القديمة، ودون أصولها ولم يتعرض في دراسته الخاصة لمناقشتها، ولم يكن له مذهب فيها يدعو إليه، ويحث الناس على اعتناقه، بل كل عنايته كانت تقوم على السلوك المستقيم والدعوة إليه، ولم يكن مدعيا لرسالة، ولم يكن هو رسولا مبعوثا^(١)، بل كان حكيما فيلسوفا يبشر بمذهب في الأخلاق، أما عقيدته فهي ما كان يعتقد انصينيون القدماء، ولا تزال آثاره في عقيدة أكثر الصينيين المعاصرين.^(٢)

المبحث الأول: الإله

لقد جمعت الديانة الكونفوشيوسية في فكرها الإلهي بين العديد من الصيغ والأنماط المتناقضة فعلى الرغم من اعترافها بوجود إله مجرد نجدها تقر تأليه البشر ويتمثل ذلك في عبادة الأبطال والأباطرة بحجة أن لهم انسابا إلهية مقدسة، وكذلك تجمع بين فكرة الوحدة، والثنائية والكثرة.

(١) ذكر الإمام محمد أبو زهرة أن اعتقاد إرسال رسل في أمة الصين قبل كونفوشيوس لا مانع من قبوله لأن الله سبحانه وتعالى لا يترك أولئك الجماعات الكبيرة من البشر من غير هاد يهديهم، وليس جهلنا بهم نافيا للوقوع ولا دليل على عدم الحصول ؛ لأن عدم المعرفة لا يستلزم عدم الوقوع، انظر: مقارنة الأديان القديمة، ص ٦٦-٦٧.

(٢) انظر: مقارنة الأديان الديانات القديمة، محمد أبو زهرة، ص ٧٢، والمعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي ، ص ٢٤٦.

د. عالية صالح سعد القرني

فتبدو الوحدة في إله السماء السرمدى الذي ترد إليه كل الموجودات ،
وتتمثل الثنائىة في دربين:

أولهما :علاقة إله السماء بإله الأرض، وتعاونهما في خلق الحياة.

وثانيهما: تبدو في تفويض إله السماء ابنه الحاكم في تسييس شئون دولته.

أما الكثرة فتمثلها عبادة أرواح الأجداد والأجرام السماوية (١).

أولاً: شائع تى إله السماء الأعلى.

السماء للمعبودة لا يقصدون بها تلك القبة الزرقاء، بل يقصدون تلك
الأفلاك ومداراتها، والقوى المسيطرة التى تسيطر عليها وتسيرها في مداراتها،
وباتصالها بالأرض، وبالأمطار والرياح وغير ذلك تثبت الأرض من كل زوج
بهيح، وكانت عبادتهم للسماء لأنهم يعتقدون أنها عالم حي متحرك حسب نظام
دقيق محكم، وأن كل ما في العالم من قوى مسيرة إنما هو خاضع لسلطان
السماء (٢).

و(شائع تى) إله السماء الأعلى هو لفظ مرادف لتين أي السماء، ومن
أسمائه في هذه العصور الحديثة "تاو" إله النظام العالمى، وهو عند البروتستانت
الصينيين الإله الأب بجانب "تشن شن"، ويطلق عليه الكاثوليك الصينيون
لفظ "تين شو" وهو عند المسلمين الصينيين الله.

ويعده كونفوشيوس العلة الأولى لجميع الموجودات، وواضع السنن
الكونية التى تدير عليها كل المخلوقات، والمتحكم في مقدرات الآلهة
والمصطفى لحكام الممالك، الذى ينعم عليهم بتأييده ونصره في رضاه، وينقم

(١) انظر: : مدخل لدراسة الأديان: محمد سري جعفر ص ١٤٦.

(٢) انظر: مقارنة الأديان الديانات القديمة، محمد أبو زهرة، ص ٨٩.

الكونفوشيوسية في الصين

عليهم فيدحر ممالكهم عقابا لعصيانهم له وتعبيرا عن غضبه عليهم، وهو المتحكم في حركة التاريخ.^(١)

ويرد الكونفوشيون الحاكمة إلى إله السماء ويعدون الحاكم كبير الكهنة المفوض بحكم الأرض من قبله أما المعلمون فهم بمنزلة الرهبان والكهنة الصغار، أما التلاميذ فهم بمنزلة الحواريين الذين يمثلون الطبقة الوسطى بين طبقة النبلاء والطبقة الشعبية وهم جميعا يعبدون إله السماء وإله الأرض وكونفوشيوس وأرواح الأجداد.^(٢)

ثانيا: "تين تزو" ابن إله السماء.

وهو المتحكم بتفويض من إله السماء في تنظيم العالم الأرضي، والمخول باختيار من ينوب عنه من الملوك والحكام الذين يقومون بدورهم بإعداد التقارير الخاصة بأحوال الممالك الأرضية وأخبار الزرع وتقديم القرابين لأرواح الأسلاف بعامة والإله الأعلى بخاصة، وغير ذلك من الطقوس وهي بمنزلة المواثيق المثبتة لحكمه على الأرض والضامنة لرضا وولائه شعبه نحوه.^(٣)

وقد اختص بعبادة السماء وتقديم القرابين لها ملكهم الأكبر ولذا يقال عنه إنه ابن السماء وقد حالت العقيدة وصار كل ملك أو أمير لمقاطعة له حق عبادة السماء كالملك الأكبر.^(٤)

(١) انظر: : مدخل لدراسة الأديان: محمد سري جعفر ص ١٤٦. ومقارنات الأديان: محمد

أبو زهرة، ص ٧٢-٧٣، والعقائد: عمر عنایت، ص ٥٦.

(٢) انظر: : مدخل لدراسة الأديان: محمد سري جعفر ص ١٥٧.

(٣) انظر: : مدخل لدراسة الأديان: محمد سري جعفر ص ١٤٦-١٤٧.

(٤) انظر: مقارنات الأديان: محمد أبو زهرة، ص ٧٢.

ويرى الكونفوشيون أن الموجودات وليدة العلاقة الروحية القائمة بين إله السماء وإله الأرض وهي تلك التي تمخض عنها كل الكائنات ، والعالم عندهم مليء بالأرواح المتجسدة في صورة متباينة والإنسان هو مركز الكون باعتباره الكائن الذي جمع بين عناصر إله السماء الروحية وإله الأرض المادية وقد ورث عنهما معا سبعة انفعالات هي البوح والغضب والحزن والحب والكره والرغبة والخوف، وعلى الإنسان السوي أن يعتدل في سلوكه بمقتضى هذه الانفعالات (١).

أما عبادتهم القوى المسيطرة على الأشياء الموكلة بها فلأنهم كانوا يعتقدون أن لكل شيء قوة تسيطر عليه وتسيره وهي كثيرة فالشمس قوة تسيروها وكذلك القمر والسحاب وهذه القوى كلها يعبدها الصينيون وقوى الأرض لا يعبدها الملوك ولكن يعبدها غيرهم أما القوى الخاصة بكواكب السماء وكل ما يكون فيها فهي من السماء لا يعبدها إلا الملوك (٢).

إن الإله الحق ينتزه عن الولد، قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

هذه الآية الكريمة تضمنت تنزيه الله (نفسه عن أن يكون له ولد، وأن يخرج منه شيء من الأشياء كما يخرج من غيره من المخلوقات، وهذا من تمام معنى الصمد كما سبق في تفسيره أنه الذي لا يخرج منه شيء، وكذلك تنزيه نفسه عن أن يولد - فلا يكون من مثله - تنزيه له أن يكون من سائر المواد بطريق الأولى، والأخرى) (٣).

(١) انظر: مدخل لدراسة الأديان: محمد سري جعفر ص ١٥٧.

(٢) انظر: مقارنة الأديان: محمد أبو زهرة، ص ٧٣.

(٣) مجموع الفتاوى: جمع وترتيب عبد الرحمن محمد قاسم وابنه محمد، (١٧/٤٥٣). ط ١،

١٤٢٣هـ، مؤسسة الرسالة-بيروت.

ثالثاً: الآلهة الخمسة

ظهرت هذه الفكرة عقب موت كونفوشيوس وتأليهه، فقد نحى تلاميذه منحاه التوقيفي في معالجتهم لفكرة الألوهية إذ جمعوا بين الآلهة التليدة المعبودة، وبين الفكر الثقافي السائد، وبين الفكر الوليد المطروح فعبد كونفوشيوس باعتباره إلها بجانب أربعة آلهة أخرى تليدة وهي إله السماء الأعظم وإله الأرض وأرواح الأجداد والأبطال وآلهة الجبال والأنهار، وكانت القرابين تقدم لهم جميعاً خرافاً وثيراناً وخموراً وعطوراً، وأقيمت لهم تماثيل منصوبة في متحف العظماء^(١).

رابعاً: أرواح الأجداد

من عقائد الصينيين أن أرواح الأموات تنفصل عنهم بعد موتهم وتبقى في الدنيا، مع أسرهم ولذلك يعبدون أرواح الآباء تقديساً لهم ووفاء لعهودهم وشكراً لهم على ما أسدوا من نعم لأبنائهم ويقدمون لهم القرابين^(٢).

وتعد فكر تأليه الأجداد من الأفكار التي ورثتها الكونفوشيوسية من الديانات الشعبية القديمة، وأكدتها الهندوسية والتاوية ولم تنكرها البوذية.

ويبرر الكونفوشيون عبادة أرواح الأجداد بعدد من المبررات منها أنها تعبير عن الحب والشوق الذي يكنه الأبناء نحو الآباء. ومظهر للطاعة والانصياع لهم تقديراً للبركات التي تمنحها هذه الأرواح لأحفادها مثل وهبهم القدرة على الإنجاب، والمباركة في الزرع والبيع، وشكراً لهم على النصائح التي يسدون بها تبعاً لعلمهم غير المحدود.

(١) انظر: مدخل لدراسة الأديان: محمد سري جعفر ص ١٤٧.

(٢) انظر: مقارنات الأديان: محمد أبو زهرة، ص ٧٣.

د. عالية صالح سعد القرني

فيعتقد الكونفوشيون بأن هناك لغة رمزية يرسلها ساكنو السماء إلى ساكني الأرض لإنبائهم عن الأخطار الآتية والخيرات المنتظرة.

هذا كله فضلا عن حق التبعية الذي نص عليه عقد الاستخلاف على الأرض المبرم بين إله السماء وبين خليفته البشري (الأمير أو الإمبراطور) فكان الكونفوشيون يعتقدون في أن تتصيب الحاكم من الأقدار السماوية ومن ثم على المؤمنين طاعة أوامر الحاكم باعتبارها أوامر إلهية أفضى بها إله السماء لمن استخلفه على الأرض.

وقد طور الكونفوشيون هذا المعتقد إذ جعل طاعة الآباء والأحياء واجبا مقدسا يجب على كل من يؤمن بالكونفوشية أدائه حتى لا تصيبه اللعنات. وهو الأمر الذي جعل بعض الباحثين في فلسفة الدين تشبّهه بسقراط^(١) الذي أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض^(٢).

خامسا: تقديس الأبطال:

قدس الكونفوشيون البطل في صورتين:

الأولى: صورة القائد أو البطل البشري، ويمثله "يو" الأكبر باعتباره منشئ النظام الملكي وبطل الطوفان الأول وجد لأسرة "تسو"، وهو "تش" أمير "ميلت" والجد الأكبر لعشيرة "تشى".

(١) سقراط: فيلسوف يوناني من أثينا عاش ما بين عامي (٤٧٠-٣٩٩) ق.م، ولم يترك أثرا مكتوباً، وحارب الوثنية وعبادة الأصنام، سجل حياته وتعاليمه تلميذه أفلاطون في (محاوراته) ويعد سقراط ألد أعداء السوفسطائية الذين زعموا أن الموجودات خيالات لا حقيقة لها، فأوقعوا به لدى الحكومة اليونانية فسجن وحكم عليه بالموت . انظر: الموسوعة العربية العالمية: (٣٤٢/١٢).

(٢) انظر: : مدخل لدراسة الأديان: محمد يسري جعفر ص ١٤٨.

وروي عن كونفوشيوس أنه أباح الكفر بعبادة البطل الحاكم والخروج عليه، وذلك عند تخليه عن فضيلة العدالة، ونكسه العهد الذي أبرمه مع إله السماء عند توقيع ميثاق تفويضه في حكم الأرض^(١).

الثانية: صورة البطل الإلهي الأسطوري ويمثله "فو-هي" و"تيو-كوا" وهما زوجان قد أوكل لهما عملية تنظيم وجود الأجناس في سائر الموجودات. و "ياؤو" ذو الشكل الشمسي، المتحكم في الكواكب المضيئة ومؤسس الآداب الاجتماعية والأخلاقية، و"شوين" وهو راعي الإخلاص وغارس بذور المحبة بين البشر^(٢).

وتتميز فكرة عبادة البطل الصينية عن دونها من الديانات بأن البطل فيها ينال حظا موفورا من التقدير والتقدير والقرايين شأن الآلهة الكبار، ولا شيء يميزه عنهم إلا أن عبادتهم صورية مرهونة بوجوده، فسرعان ما يتحول عنه عباده إلى عبادة بطل آخر إذا غاب وانتهى عهده أو أفل نجمه^(٣).

ويؤمن الكونفوشيون "بالمانا" وهي القوى الداخلية التي تمنحها أرواح الأسلاف لخلفائهم فتجعلهم أبطالاً أو ملوكاً، وتمنحهم القدرة على الإنجاب وتضمن بها إذا غضبت عليهم، وهي كذلك علة تخصيص الأرض والحيوانات^(٤).

سادسا: النجمة القطبية:

وهي من المعبودات المستحدثة في الديانة الكونفوشية، وذلك لأنها لم تظهر إلا في القرن الرابع قبل الميلاد بعد وفاة كونفوشيوس، ولا يوجد ما يفسر

(١) انظر: مدخل لدراسة الأديان: محمد يسري جعفر ص ١٤٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٤٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ١٤٨.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ١٥٧.

د. عالية صالح سعد القرني

عبادتها في شذراته وتلاميذه الأول، فذهب البعض إلى أن الصينيون يعتبرونها رمزا للحاكم، ويرى البعض الآخر أنها كانت عندهم تمثل إحدى تجليات إله السماء في حين يرى فريق ثالث أنها فكر صابئ قد انتقل إلى بعض الصينيين من ديانات الشرق الأوسط^(١).

وسأرجئ نقد معتقدات الكونفوشية السابقة لأضمرها مع نقد طقوسهم وعباداتهم.

المبحث الثاني: الجنة والنار

لم يكن الصينيون القدماء يؤمنون بجنة ولا نار ولا عقاب ولا ثواب وقد أخذ كونفوشيوس بكل هذه العقائد ولم يزد عليها فلم يؤمن باليوم الآخر ولم يفكر في الحياة بعد الموت بل كان همه إصلاح الحياة الدنيا^(٢)، وكذلك فعل تلاميذه من بعده وهو الأمر الذي كان وراء استمرار العديد من العقائد الشعبية وسيادتها على الثقافة الصينية قبل وبعد ظهور الكونفوشية باعتبارها دينا قوميا، ويرى البعض أن معتققي الكونفوشية لم يجدوا غضاضة في الإيمان بحلول الروح وتناسخها والاتصال بها وغير ذلك من الأفكار التي اعتنقتها الديانات الشعبية، ويبررون ذلك بأن كونفوشيوس نفسه كان يؤمن بها إيمان العوام الذين يعدون الارتياح في هذه الأمور إثما وضلالا، ويروى أن كونفوشيوس سئل ذات يوم عن الموت فأجاب: "إننا لم ندرس الحياة بعد فكيف نستطيع أن ندرس الموت"^(٣).

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٤٩.

(٢) انظر: مقارنات الأديان: محمد أبو زهرة، ص ٧٣.

(٣) انظر: مدخل لدراسة الأديان: محمد يسري جعفر ص ١٥٩. والموسوعة الميسرة: (٧٥٢-٧٥٣). واليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، يسر محمد سعيد، ص ٤٠، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، دار الثقافة - قطر.

والإيمان باليوم الآخر أصل من أصول الإيمان. وهو من (الأصول الثلاثة التي اتفقت عليها الملل، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] ^(١).

((والإيمان بالله، واليوم الآخر يتضمن الإيمان بالمبدأ، والمعاد.

وهو الإيمان بالخلق والبعث كما جمع بينهما في قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] وقال - تعالى -: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنًا وَاحِدَةً﴾ [لقمان: ٢٨]، وقال - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: ٢٧] ^(٢)، ويتضمن أيضاً على وجه الإجمال الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت.

ولم يخالف في الإقرار بهذا الأصل إلا الفلاسفة الباطنية فإنهم ((لا يقرون بمعاد الأبدان)) ^(٣) ومن سار على نهجهم من الادعاء بتناسخ الأرواح.

المبحث الثالث: القضاء والقدر

يؤمن الكونفوشيون بالقضاء والقدر فيقولون إن كل الحوادث مقدرة في السماء معروفة، كما أنهم يجعلون للإرادة الإنسانية الشأن الأول، وذلك لأن الإرادة الإنسانية للخير أو الشر لها أثر في الأكوان، ولأن آلهتهم عادلة فزعموها

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣/٥)، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط عام ١٣٩٩هـ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ، وانظر: مجموع الفتاوى (٣٠/٩-٣٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٠/٥).

(٣) الرد على المنطقيين (ص: ٤٥٨) تقديم وضبط: د. رفيق العجم، ط ١، ١٩٩٣، دار الفكر اللبناني، بيروت - لبنان. ، وانظر: مجموع الفتاوى (٣٥/٩ - ٣٦)

د. عالية صالح سعد القرني

أنها لعدلها تجعل مشيئتها في الكون على حسب عمل الإنسان إن خيراً فخير له، وإن شراً فشر له، وإن أفعال السماء المسببة لفعل الإنسان لا تقبل التخلف قط، لأنها جزاء ما تقدم، وأما أفعال السماء التي تكون حظاً من غير تقدم الإنسان بسبب لها فهي تقبل التخفيف بالإرادة الإنسانية الخيرة أو الشريرة، وفي هذه الحدود الضعيفة كان إيمانهم بالقضاء والقدر^(١).

وهنا نلاحظ تشابهاً كبيراً بين قول كونفوشيوس بجبر الإنسان على التغيير أو التحكم في مجرى التاريخ وبين القائلين بالجبر من الفرق الإسلامية، غير أن الإسلام قد منح الإنسان قدراً كبيراً من الحرية في تفسير وتبرير وتغيير واقعه^(٢)، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف/٢٩)، وقال سبحانه: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد/١٠)

بيد أن كونفوشيوس قد قبل منطق الجبر مدفوعاً بدافع سياسي ألا وهو تبرير أفعال الحاكم بأنها قدر إلهي.

(١) انظر: مقارنات الأديان: محمد أبو زهرة، ص ٧٢، وص ٧٤-٧٥.

(٢) انظر: مدخل لدراسة الأديان: محمد يسري جعفر ص ١٤٤.

الفصل الرابع

منهج الدعوة الكونفوشيوسية

المبحث الأول: الأخلاق

الأخلاق هي الأمر الأساسي الذي تدعو إليه الكونفوشية ، وهي محور الفلسفة وأساس الدين ، وهي تسعى إليه بتربية الوازع الداخلي لدى الفرد ليشعر بالانسجام الذي يسيطر على حياته النفسية مما يخضعها للقوانين الاجتماعية والقانونية بشكل تلقائي .

ويرى كونفوشيوس أن الأخلاق تتحقق في سلوك الناس بعضهم بإزاء بعض، وفي ممارستهم السلطة، كما يرى أن السياسة الحكيمة هي ما تقوم على الأخلاق القويمة فليست السياسة منفصلة عن الأخلاق ومن فصل الأخلاق عن السياسة فهو لم يفهم الغاية من السياسة ولا الغاية من الأخلاق في نظر كونفوشيوس ، إن الغاية السامية من السياسة هي إصلاح الأخلاق وقد يكون من واجب الدولة أن تعنى بتوفير الخبز للعامة وأن تعنى بالقيام على الميزانية وتنظيم دخلها وخرجها ولكن الغاية السامية أو الواجب الأمثل هو في إصلاح أخلاق الناس وتهذيبهم وليس السياسي المستقيم من يستطيع أن يحكم بالعدل والإنصاف فقط بل السياسي حقاً من يستطيع أن يهذب الرعية حتى لا يكون ظلم ولذا يقول : "إنني في الفصل بين المتخاصمين كغيري من الناس ولكن السياسة الحكيمة أن تهذب الرعية حتى لا تكون مخاصمة"^(١).

(١) انظر: مقارنات الأديان، محمد أبو زهرة، ص ٨٣، وفلاسفة إنسانيون، كارل ياسبرس،

ترجمة: عادل العوا، ص ١٢٩-١٣٠، منشورات عويدات - بيروت.

د. عالية صالح سعد القرني

ومجمل ما يقال في سياسة هذا الحكيم أنها الأخلاق الفاضلة فهي عدة الحكام وعتادهم وهي غايتهم ومرتجاهم وهي المطمح الأسمى وهي البذرة الصالحة يلقاها الحاكم في أمته فتتبت أزكى النبات وتثمر أطيب الثمرات وما كان هو إلا نموذجاً للحاكم الصالح حكم فلم يخالف حكمه آراءه و لم يباعد السلطان بينه وبين كلماته^(١).

وترتكز الأخلاق عند كونفوشيوس على الركائز التالية:

أولاً: الجين.^(٢)

وهو مثال المثل في العقائد الكونفوشيوسية، وله عند كونفوشيوس وتلاميذه دلالات عديدة أهمها الفطرة، والفضيلة، والخير الإنساني، والرجولة الحقّة، والطابع الأخلاقي، والإحسان، والحب والعدالة.

وهو يرمز إلى العنصر المذهب في العشيرة الأولى التي يجب على كل فرد في المجتمع الاقتداء بها ثم أصبحت بعد ذلك دلالة على كل الأفعال الخيرة مثل انعدام الأنانية، الإخلاص للأمير واحترام الآخرين ثم أضحي مثلاً للحاكم النبيل، وسبيلاً للارتقاء الروحي الذي ينتهي به إلى الألوهية والقداسة^(٣).

(١) انظر: مقارنات الأديان، محمد أبو زهرة، ص ٨٧.

(٢) حدث إشكال في ترجمة هذه الكلمة، فبالإضافة إلى ما سيرد في معناها فإنها قد تأتي بمعنى الود أو العطف، أو الشفقة، وأنها في النهاية صفة أخلاقية أساسية في الكونفوشية لا بد من توافرها في انحاكم الصالح. انظر الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، هامش ص ٣٥٦.

(٣) انظر: : مدخل لدراسة الأديان: محمد يسري جعفر ص ١٥٥. والمعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، ص ٢٤٠-٢٤١، والفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٥٠.

ثانيا: الفضيلة(تي) :

وهي القوة التي تدفع الفرد نحو الجين، أي عمل الخير والحياة الروحية. وهي باطنية ملازمة للفرد يستمد منها قوته على إحداث الأفعال وأداء الطقوس الدينية ومراعاة الآداب الاجتماعية، وقد أكد كونفوشيوس أن كل أشكال العبادة وكل أنواع القرايين لا تحقق السعادة لمن يتجاهل الآخرين ويرفض مساعدتهم وتقديم العون لهم، فالفضيلة عنده تبدأ من حب المرء لأخيه وطاعته للحاكم، ويعدها الوسط الذهبي بين رذيلتين^(١).

فالطبيعة الإنسانية عنده تتكون من عنصرين أولهما الذات الإنسانية المحضة أو الذات المركزية أو الموجد الأخلاقي، ويعدها كونفوشيوس الوسط، أما العنصر الثاني فهو الانفعالات الإنسانية مثل: الفرح والحزن والغضب ويؤدي انسجامها في النفس الإنسانية إلى القانون الأخلاقي^(٢).

والرجل الفاضل هو الذي يسير على نمط الطبيعة الإنسانية فيكيف نفسه وفق الظروف ويلزم الوسط في تصرفاته بلا إفراط أو تفريط، والرجل غير الفاضل هو الذي يجنح عن القانون الأخلاقي إما بالتدني أو بالتعالي. فالإفراط في النبل رذيلة والإفراط في التواضع نقيصة^(٣).

فالفضيلة عنده لا تطلب لما فيها من لذات ولكن تطلب لأنها كمال الإنسان ولأنها الفطرة السليمة، والطريقة التي بها يتم التآلف والانسجام بين

(١) انظر: : مدخل لدراسة الأديان: محمد يسري جعفر ص ١٥٥، والمعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي ص ٢٤١-٢٤٢.

(٢) انظر: : مدخل لدراسة الأديان: محمد يسري جعفر ص ١٥٥.

(٣) انظر: : المرجع السابق ص ١٥٥.

د. عالية صالح سعد القرني

الإنسان والعالم، وإذا تمسك الشخص بالفضيلة وابتعد عن الانحراف عن سبيلها وتجنب الخضوع لملاذ سهل عليه كل صعب وهان عليه كل شاق وإن رياضة النفس على الفضيلة تجعل الشخص يحتمل الفقر والغنى فإن افتقر لم يهن وإن غنى لم يطغ ولم يأشر.

مسالك الأخلاق الفاضلة لدى كونفوشيوس :

المسلك الأول : أنه دعا إلى احترام الآباء والعناية بشدة بتماسك الأسرة ولاشك أن الشخص إذا عني بالبر بالوالدين العناية الكافية لم يكن منه في حضرتهما إلا ما يليق بالرجل الكامل فملازمتهما مع العناية بالتجمل بالكمال في حضرتهما أمداً طويلاً يجعل الشخص يعتاد الفضيلة والسلوك الحسن ولعل هذا هو السر في أن الإباحية إذا سادت زمناً من الأزمان صحبها انحلال الأسرة وفك عقدة الاحترام التي بين الآباء والأبناء .

المسلك الثاني : من مسالكة في الدعوة إلى الفضيلة مسلك التدرج فهو كان يدعو إلى الأخلاق في رفق و يعطي كل واحد من الناس مقدار طاقته في دعوته.

المسلك الثالث : يرى أن الرجل الفاضل يستطيع أن يؤثر بسلوكه القويم أكثر من أي بيان مهما تكن بلاغته ومن غير أن يهتم بالرياء في دعوته^(١).

كان إذن من مذهب كونفوشيوس أن يختلط بالناس ليصلحهم، وليس من مذهبه أن يعتزل الناس وينقطع عنهم.

(١) انظر: مقارنات الأديان، محمد أبو زهرة، ص ٨١-٨٢.

ثالثا : الولاء هيساو

وهو إجلال الآباء والإخلاص لسيرة الأسلاف، فيؤكد كونفوشيوس أن احترام الأبناء لأبائهم من أعلى الفضائل وأسمائها وهي القاعدة الأساسية التي شيدت عليها عبادة أرواح الأسلاف والأجداد والولاء الذي قدم لهم في حياتهم الأرضية.

وللوالاء عند كونفوشيوس صور خمس هي الولاء للأمير وللأيوين وللأخ الأكبر وللزوج وللصديق^(١).

رابعا : آداب المجتمع (لي) :

على الرغم من أن الجين هي أساس الإنسانية، ومن ثم هي الدليل المطلق للفعل الإنساني، فقد أدرك كونفوشيوس أن الحاجة ماسة في الحياة اليومية إلى أدلة مباشرة وأكثر تعيينا. وقد وجد هذه الأدلة المتعينة في قواعد اللياقة وآداب المجتمع (لي) التي تحكم العادات والمراسم والعلاقات التي تم الاعتراف بها من خلال ممارسة الناس لها عبر العصور. ويعكس أفضل هذه الممارسات التجسيد المتعين لـ(الجين) وتجسيدها في الماضي، ومن ثم فهي تشكل دليلا لتحقيق الجين في الحاضر، وهذا هو السبب في أنه عندما سئل كونفوشيوس عن الجين قال: "أن يسيطر المرء على نفسه وأن يعود إلى آداب المجتمع (لي) تلك هي الإنسانية (جين)"^(٢).

(١) انظر: : مدخل لدراسة الأديان: محمد يسري جعفر ص ١٥٧، والمعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، ص ٢٤٢، والتفكر الديني في العالم، ص ١١٧..

(٢) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٣٧.

خامسا: الاستقامة (بي):

شدد كونفوشيوس على الاستقامة (بي) باعتبارها ضرورية لتطویر (جين) يقول: "ينظر الرجل الأسمى إلى الاستقامة (بي) باعتبارها جوهر كل شيء وهو يلتزم بها بحسب مبدأ آداب المجتمع (لي) ويبرزها في تواضع ، ويمضي بها إلى نهايتها في إخلاص، إنه حقا الرجل الأسمى" (١) .

و(بي) و(هيساو) و(جين) هي خصائص الشخص الأسمى الذي طورت إنسانيته، وتفتحت مداركه ونضج وعيه، وهذا الشخص الأسمى هو نقیض الشخص الضئيل أو المنحط الذي لم تتفتح مداركه أخلاقيا والذي يتصرف بوحى الغريزة ومن أجل النفع (٢).

وفي المقابل نجد دعوة الإسلام لمكارم الأخلاق التي تضاهيها أخلاق أو تعاليم في جميع شئون الحياة، فالدين الإسلامي دين رحمة ودين عزة وكرامة للإنسان دين تكامل وشمول، ومهما كان من شأن الديانات والتعاليم الوضعية فهي من وضع البشر ونتيجة لوضع خلقي معين مستشر في مجتمع محدود ولفترة محدودة، فى حين أن الإسلام دين شامل وعام لكل مجتمع وإلى قيام الساعة.

سادسا: الواجب

يرد كونفوشيوس القانون الأخلاقي أو الخير الأسمى لإله السماء الذي ورثه بدوره لعقل الإنسان فأصبح بمنزلة الجوهر الثابت الذي لا يتغير، والقطرة

(١) نقلا عن الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٤١.

(٢) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٤٢، وأديان العالم: هوستن سميث، ترجمة سعد رستم، ص ٢٦٨، دار الجسور الثقافية - حلب.

السليمة التي لا تتحول ، ويمتثل في مبدأ الواجب الذي نشعر نحوه بالجبر والإلزام، ويرد كونفوشيوس الشرور إلى الجهل الذي يمرض الضمائر التي لا تنشط إلا بالتعليم والتزود بالمعارف المختلفة، وهو الأمر الذي يبرر إعلاءه من شأن الحكماء على غيرهم "أن الناس يولدون خيريين سواسية بطبيعتهم ولكنهم كلما شبوا اختلف الواحد منهم عن الآخر تدريجيا وفق ما يكتسب من عادات" إن الطبيعة الإنسانية مستقيمة فإذا افتقد الإنسان هذه الاستقامة أثناء حياته افتقد معها السعادة. "إن الطريق العملي لتحقيق الواجب هو الإذعان لهذا الصوت الداخلي وأن الضامن المطمئن هو مداومة مراقبة النفس حتى يكشف جميع دواخلها، فإذا حصل للفرد هذا الكشف وصل إلى درجة الحكمة لأن القلب حينما يقوده الهوى ينسحب إلى الشر دون أن يشعر، فيصبح الإنسان يرى ولا يبصر ويسمع ولا يعقل، والعلة في هذا هي أن العواطف والأهواء تسود أعمالنا وتمنعنا من أن نحكم أحكاما صحيحة على أنفسنا وعلى العالم الخارجي"^(١).

المبحث الثاني: التربية والتعليم.

يرى كونفوشيوس أن أي حاكم يحتاج لأمرين، هما: التأهيل العلمي الأكاديمي والمستوى الرفيع من الخلق، وعلى هذا فقد أيد فكرة التعليم الشامل، ونادى بأن المناصب الدبلوماسية والإدارية يجب أن يتولاها أفضل الكوادر المؤهلة من الناحية الأكاديمية لا من الناحية الاجتماعية^(٢). وأنه من خلال عنصرَي العلم والأخلاق يمكن تحقيق العدالة في المجتمع^(٣).

(١) انظر: : مدخل لدراسة الأديان: محمد يسري جعفر ص ١٥٦.

(٢) انظر: قاموس الأديان: أسعد السحمراني، ص ٨٠.

(٣) الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح

إمام، ص ٣٣٣.

ولتحقيق ذلك جعل لفلسفته قوانين تحقق وصول الفرد إلى المستوى المطلوب من التربية والتعليم، منها:

أولاً: المعرفة :

ابتدأ كونفوشيوس نظريته الفلسفية بنظريته "تعيين المعنى واللفظ" و"تعيين الأسماء والمسميات"، وهي النظرية التي ابتدأ بها أيضاً سقراط من بعده، و ذلك لما تشابهت فيه أحوال العصرين اللذين عاش فيمهما الفيلسوفان، فكونفوشيوس جاء في وسط اضطراب خلقي وتلاعب في نظم الحكم وعبث بمصالح الدولة واللعب بالألفاظ لتوهين الأخلاق، فكان لا بد من العمل على تعيين المعاني الدالة على الألفاظ ليثبت المعنى مستقيماً، لكي لا يمكن التلاعب به وإفساد الاستدلال من طريق ذلك التلاعب ، وكذلك وجد سقراط السوفسطائيين قد اتخذوا من اللعب بالألفاظ طريقاً لحل أخلاق الشباب الأثيني^(١) وإفساد اعتقاده والعبث بكل ما هو فاضل لديه ، و لذا كان أول ما دعا إليه سقراط تعيين المعاني الدالة عليها الألفاظ حتى لا يتخذ المفسدون من بريق اللفظ ما يفسد الاستدلال والتفكير.

دعا كونفوشيوس إلى العناية بمعاني الأسماء والألفاظ الدالة على المسميات وألحف في تلك الدعوة ليقطع على المضللين سبيل التضليل ويفتح الباب ليستقيم طريق المعرفة من غير تمويه.

عنايته بتعيين الألفاظ جزء من عنايته بأن يكون الشخص الكامل على تمام المعرفة بنفسه وبحقائق الأشياء فهو يحث على المعرفة الصحيحة ويعتبرها جزءاً غير قابل للانفصام من منهاجه الخلقي، فيعتبر من كمال الفضيلة للرجل

(١) نسبة إلى أثينا.

الكونفوشيوسية في الصين

حسن إدراكه للأمور وقدرته على فهم ما يلقي بين يديه من المسائل من غير أن يدفعه الغرور إلى الضلال ثم هو يدعو إلى التفكير القويم في كل ما يلقاه الإنسان، ويرى شرطاً لازماً للتفكير أن تكون عند الشخص قبل التفكير مقدمات كافية لأن يفكر والتفكير لا بد منه لكل معرفة ويرى أن طريق العلم ألا يقيس الغائب على الشاهد، لأنه تخمين ولا يجري الحدس والتخمين فيما لا يعلم لأن الظن لا يغني من الحق شيئاً^(١).

فالمراتب عنده ثلاثة : معرفة للحق مجردة ، وشوق إلى الحق ومحبة له، وعمل به وارتياح النفس إلى العمل به، مهما يكتنفها في العمل به من صعاب وشدائد ثم يقسم الناس للمعرفة إلى أربع درجات الأولى درجة رجل وهبته السماء المعرفة وأوتي الإلهام وهي أعلى الدرجات والثانية درجة رجل لم يؤت إلهاما ولكن فيه ذكاء فتعلم ووصل إلى أقصى ما يتعلمه من لم يؤت إلهاما والثالثة درجة الرجل الذي لم يؤت ذكاء بل فيه غباء ويطلب المعرفة وينال منها بمقدار طاقته والأخيرة الدرك الأسفل، رجل حائر باثر فيه غباء وبلادة فلم يعرف ولم يحاول، معرفة الإنسان عنده لا يمكن أن تصل إلى الغايات من الأشياء بل أقصى ما يمكن أن تصل إليه هو معرفة ما يمكن أن تعرفه و هو النواميس و القوانين التي تسير الأكوان على مقتضاها^(٢).

وفي الإسلام مصدر المعرفة هو الآيات: آيات القرآن وآيات الأنفس والآفاق «سُتْرِبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ» (فصلت: من الآية ٥٣)، ومن آيات الآفاق: اختلاف الليل والنهار واختلاف الألسنة والألوان وعجائب الكون الكبيرة. فالوحي القرآني مصدر المعرفة الذي أرشد إلى الحس والعقل.

(١) انظر: مقارنات الأدبان، محمد أبو زهرة، ص ٧٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٨٧.

ثانيا: التربية :

يعد كونفوشيوس التربية طريقا لتنمية الشخصية الأخلاقية، يقول:
"الطريق الوحيد المتاح أمام الإنسان الأسمى للقيام بتموين الناس وإرساء عادات
اجتماعية جيدة هو إنجاز ذلك من خلال التربية، فقطعة من الأحجار الكريمة لا
يمكن أن تغدو عملا فنيا دون نحتها، والإنسان لا يمكنه الوصول إلى معرفة
القانون الأخلاقي دون تربية..."^(١).

ولقد ظلت الشريعة الكونفوشية لألفين من السنين هي العصب الرئيسي
لمنهج التربية والتعليم في الصين، وكان الإمام بالشريعة على سبيل المثال هو
أحد المتطلبات الرئيسية في امتحان الخدمة المدنية^(٢).

وهنا لا بد من بيان أن الإسلام جعل العلم فريضة مقدسة داخلية في
العبادات والشعائر الدينية، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا
إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة/١٢٢)

وقال سبحانه: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق/١-٥)

فالكونفوشية لم تأت في هذا المجال إلا بما جاء الإسلام به، وكذلك
التربية فالسنة شاهدة بتربية النبي محمد ﷺ لأمته في شتى مناحي الحياة.

(١) نقلا عن: الفكر الشرقي القديم ، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام
عبد الفتاح إمام، ص٣٤٩.

(٢) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام،
مراجعة: عبد الغفار مكاري، ص٢٢٥.

الفصل الخامس

الطقوس والعبادات

المبحث الأول: الطقوس

الطقوس التي يمارسها الكونفوشيون هي التي تحدد مراتبهم، وهي اللغة التي اخترعها الإله ليسوس مخلوقاته، وهي كلمة الحب بين السماء والأرض، وهي كلمة الشكر من الموجودات الأرضية إلى السماء.

وهناك طقوس تؤدي إلى أرواح الأجداد وهي مأخوذة من الهندوسية والبوذية، أما البوذية فتؤدي في المعابد ولها مراسم ونظم يقوم بأدائها الكهنة المنوط بهم تقديم القرابين دون غيرهم وعلى رأسهم الحاكم باعتباره الكاهن الأكبر وابن السماء.

ويقام لعبادة الأسلاف معبد ضمن مجموعة مباني القصر في المبنى المركزي، ويتكون هذا المعبد من ضريح أسلاف أسرة "تشو"، ويقوم الكهنة (النبلاء والأمراء) بتجهيز الحاكم للدخول إلى المعبد والإشراف على تقديم القرابين، ويستبجح الكهنة دماء أسرى الحروب باعتبارها قربانا لأرواح الأسلاف عندما يأتي بهم أمراء المقاطعات، ويقدم للملك ذبائح وخمور ثم يولم عليها في اليوم التالي حيث تقدم أجزاء منها إلى الرعايا المجتمعين^(١).

ومفهوم القرابين في الديانة الكونفوشية يختلف تماما عن مفهوم الأضاحي في الديانة الإسلامية ؛ ذلك لأن الله تعالى لا يناله شيء البتة مما يقدم

(١) انظر: مدخل لدراسة الأديان: محمد يسري جعفر ص ١٥٩.

من الأضاحي والنذور والهبات قربانا لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَالْبُذُنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الحج/٣٦-٣٧)

المبحث الثاني: العبادات

أولاً: الرهينة.

تعد رهينة كونفوشيوس متميزة عن أنماط الديانات الأخرى وذلك لخلوها من شعائر التنسك ورفضها العزلة في المعابد والأديرة والكهوف، فالراهب عنده ذلك الذي يحمل بين يديه أنفس الجواهر ليوزعها على الناس ويسدي لهم النصيحة ويرشدهم إلى الفضيلة، وهو الرجل الأمين الصادق الذي لا يخشى في الحق سطوة الظالم ولا يذله ويحط من كبريائه قوة حاكم، وهو المعتدل في حياته، واللين في نصحه، والمحافظ على ميراث الأجداد، معتزل الفتنة، واسع المعرفة، محب للناس كافة، والحزم والتواضع والكرم^(١).

ثانياً: تقديس الخمسات.

يقدر الكونفوشيون رقم خمسة باعتباره أكمل الأشكال الهندسية وينسبون إليه العديد من الأسرار وله عندهم عدة دلالات وأشكال منها:

١. العناصر الخمسة التي تتكون منها الأشياء وهي المعدن والخشب والماء والنار والتراب.

٢. الجهات الخمس هي: شرق غرب شمال جنوب وسط.

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٥٨.

٣. القرابين الخمس وهي: الخمر والعطور واللبن والدماء والأرز.
٤. الآلهة الخمس: إله السماء وإله الأرض وإله الجبال وإله الأنهار وأرواح الأجداد.
٥. درجات القرابة خمس هي: الأبوة والأمومة والبنوة والأخوة والزوجية.
٦. الألوان الخمس الرئيسية هي: الأبيض والأسود والأحمر والأخضر والأزرق.
٧. المفاتيح الموسيقية الخمس: ري، مي، صول، لا، سي^(١).

ثالثاً: الموسيقى

يبالغ الكونفوشيون في إجلال الموسيقى وتعظيمها فهي عندهم علة نظام الكون والنظم الاجتماعية والسياسية والأخلاقية وعلة انسجام عناصر الطبيعة، وهي السبب الأول في تصالح الآلهة^(٢).

ولنا هنا وقفة لبيان أن مفهوم الألوهية في الديانة الكونفوشية مغاير تماماً لمفهومها في الإسلام، وذلك لأنها تجمع في طياتها بين الشرك والتجسيد، وبين الوحدة والتجريد، ويتمثل ذلك في تأليه الحاكم وتجويز عبادة البشر وعبادة أرواح الموتى بجانب تقديس إله السماء المجرد، الأمر الذي يعد كفراً في عقيدتنا الإسلامية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء/٤٨)

(١) انظر: مدخل لدراسة الأديان: محمد يسري جعفر ص ١٥٧-١٥٨

(٢) انظر: مدخل لدراسة الأديان: محمد يسري جعفر ص ١٥٨. والفكر الشرقي القديم، جون

كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٤١.

د. عالية صالح سعد القرني

وقد أنكر القرآن الكريم تبرير المشركين لعبادة الأوثان، قال الله تعالى:
﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا
إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ
كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (الزمر/ ٣)

أما اعتقاد الكونفوشييين بعصمة الحاكم وتنصيبه من قبل إله السماء الذي
يقوم باستخلافه على الأرض اعتقاد فاسد أيضا من وجهة نظر الإسلام ؛ لأن
خلافة الإنسان على الأرض لا تعني كونه معبودا مشاركا لله بل هو خلق من
مخلوقاته استخلفه الله تعالى على الأرض لعبادته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا
وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾
(البقرة / ٣٠)

الفصل السادس

أسباب العودة إلى الكونفوشيوسية

ظهرت الكونفوشية الجديدة كحركة فلسفية وطنية بفعل عدة عوامل وإلهامات، ودون هذه العناصر كافة ما كان يمكن بمقدور الأخوين تشينج وتشويسي إعادة تفسير مبادئ الكونفوشية ومفاهيمها على نحو يشمل وينسق المبادئ التي تبدو متصارعة في المدارس الفلسفية الأخرى في الصين^(١). وهذه العوامل هي:

المبحث الأول : البوذية الصينية وتأثيرها

فقد كان دخول البوذية إلى الصين وتطورها عاملا مساعدا قويا في المناخ الفلسفي خلال القرون الوسطى في الصين. فصيافة الشعور بالقلق في صورة برنامج عمل، بالإشارة إلى أن البوذية يمكن التصدي لها بإظهار فلسفات الصين الوطنية، وإيضاح أنها أسمى من الفلسفات البوذية، وهكذا فإن مشكلة التصدي للبوذية كانت مشكلة الاضطرار لبناء صرح فلسفة نسقية للطبيعة والعالم تؤكد الحياة تماما، وتشدّد على أهمية أمور بعينها والأشخاص الفردية^(٢).

وقد اعترضوا على تأكيد القدرة على التغلب على المعاناة والموت، الذي بدا لهم أنه مجرد نزعة هروبية أنانية وبدا جانب الرهينة في البوذية الذي يتضمن نبذ العائلة والمجتمع حيث إنه من المستحيل أن يستطيع البشر الهرب

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد

الفتاح إمام، ص ٣٧٩.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٣٨٣.

د. عالية صالح سعد القرني

من المجتمع، كما انتقدوا كذلك التشديد البوذي على الميتافيزيقيا التي تنظر إلى الأشياء كافة باعتبارها خاوية من الواقع، وقالوا إن النظر إلى الأشياء كافة بما في ذلك الطعام والكساء باعتبارها أشياء غير واقعية والاعتماد عليها مع ذلك هو أمر متناقض، ولكن أعمق خلاف بين المدارس البوذية والفلاسفة الصينيين هو التأكيد على الواقع الاجتماعي والأخلاقي من قبل الصينيين باعتباره أمرا أساسيا في مواجهة الوعي والواقع الميتافيزيقي، اللذين شدد البوذيون عليهما^(١).

فالبوذية الصينية العامل الأكثر أهمية في نشأة الكونفوشية الجديدة؛ حيث مال الفلاسفة الصينيون إلى تبني موقف نقدي إلى كبير من الفلسفات البوذية منذ إدخالها الصين وبخاصة مع دعوتها الانسحاب من الحياة الاجتماعية النشطة إلى الأديرة.

المبحث الثاني: التطور الذي شهدته الطاوية الجديدة

دعا "لاوتسو" - الذي ولد في أواخر القرن السادس قبل الميلاد - إلى حياة بسيطة ومتناسقة ، حياة يتم التخلي فيها عن دوافع الربح، وتتحية الحذق جانباً والتخلص من الأنانية، وتقليل الرغبات، وقد شعر "لاوتسو" إضافة ضوابط ومعايير خارجية إلى الضوابط والمعايير الداخلية التي دعا إليها كونفوشيوس، وكانت النتيجة نزعة إنسانية ذات مذاق نفعي وتأكيد عملي أكبر، وقد رجعت القوة الخاصة لهذا المركب إلى التأكيد الأخلاقي للكونفوشية الذي

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٢٨. والمعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، ص ٢٢٤.

كان بمنزلة عامل تصحيح للنزعة النفعية، في حين أضافت هذه الأخيرة طابعا عمليا إلى الأخلاق الكونفوشية.^(١)

وفي أوائل العصور الوسطى قام (هوي- نان تسو)^(٢) - بتطور علم الكونيات، ووفقا لنظريته فإن "الين واليانج"^(٣) أصبحا مبدئي الإنتاج والتغير بين جميع الأشياء في العالم، وكذلك فعل الفيلسوف الكونفوشي "تونج تشونج - شو"^(٤) (١٧٦- ١٠٤ ق.م) حيث اعتبر الينج واليانج مبدئي الأشياء، ووفقا له فإن كل الأشياء ترجع إلى قوتي الين واليانج اللتين تظهران نفسيهما من خلال العناصر الخمسة^(٥).

المبحث الثالث: التطور الذي شهدته مدرسة الأسماء

كان مناط الاهتمام الرئيسي لدى فلاسفة هذه المدرسة متمثلا في العلاقة بين اللغة والواقع، ويبدو أن دافعهم كان نظريا في المقام الأول ؛ حيث كان هؤلاء المناطق مهتمين بالمعرفة لذاتها، وليس لنفسها وهذا الاهتمام بالمعرفة لذاتها يجعل هذه المدرسة فريدة من نوعها، كما كان السبب في أنها أصبحت موضعا للتندر من جانب أعضاء المدارس الأخرى.

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم: جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص (٣٢٣)

(٢) توفي عام ٢٣٣ ق.م وهو مؤرخ تاوي يعود إلى عهد متأخر نسبيا. (انظر الفكر الشرقي القديم ص ٣٢٥)

(٣) تترجم أحيانا بالجانب السلبي والجانب الإيجابي، أو الجانب القمري والجانب الشمسي فهو رمز التضاد في الموجودات. انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي ص ٤٠٤.

(٤) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٢٦.

د. عالية صالح سعد القرني

ولكن على الرغم من التعارض بين هؤلاء المناطق وفلاسفة الصين الآخرين في هذا العهد فإن سبر أغوار العلاقات بين الكلمات والأشياء والاهتمام بالمعرفة في ذاتها قد شكلا تريباقا مهما ضد الإغراق في النزوع العملي من جانب الفلاسفة الآخرين ، وأبقى على توهج الاهتمام بالنظرية وأصبحت الدراسات المتعلقة بالعلاقات بين الكلمات والأشياء المفيدة ، في وقت لاحق في كل من التاوية والكونفوشية فيما هما تبحثان عن أساس ميتافيزيقي لفلسفتيهما الاجتماعية^(١).

المبحث الرابع: التطورات الميتافيزيقية في مدرسة لينج - إيانج التفاعلية:

كان لمدرسة ين يانج التي عنيت بنشأة الكون وعلم الكونيات تأثير في عصر الكونفوشية المبكرة والتاوية، وبما أنه لم يعرف أي فلاسفة بعينهم قد ارتبطوا بهذه المدرسة، فليس من الممكن تحديد أوقات معينة تتعلق بها، ولكن الأمر الأكثر احتمالاً هو أن هذه المدرسة تعود بدايتها إلى أواخر عهد شانج أو أواخر عهد تشو، وقد واصلت الاحتفاظ بأهميتها بعد كونفوشيوس بوقت طويل.

وكانت بدايات تفكير مدرسة لينج يانج في الفضول الطبيعي حول تحولات الطبيعة، وبنية الكون ، والتفكير في المبادئ أو التحولات الداخلية لوظائف الطبيعة، فكان هناك سؤالان هما:

ما هو تنظيم أو خطة الكون؟ ومن أين جاء الكون وكيف نشأ؟^(٢)

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٣٢٣.

(٢) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ٣٢٤.

وتعد نظرية العناصر الخمسة في جوهرها ردا على السؤال المتعلق ببنية الكون ونظرية ينج يانج في جوهرها رد على السؤال الخاص بأصل الكون^(١).

وكل من نظرية العناصر الخمسة ونظرية ألينج يانج كان لهما تأثيرهما في نشأة الكونفوشية الجديدة، ففي صياغات المفكرين المختلفين اللاحقين تعرضت هاتان النظريتان للتفسير الميتافيزيقي، ووجدتا مكانهما في نظرية عامة للوجود^(٢).

وقد بدأت الكونفوشية الجديدة بمحاولة العثور على تفسير ميتافيزيقي للكون يتسم بالشمول شأن التفسير البوذي، وهذه الميتافيزيقيا يجب أن تكون مبنية على تفوق الأشخاص الفرديين ، والأشياء المفردة، كما أنها ينبغي أن تؤكد السمات الأخلاقية للكون وتمهد السبيل لتحقيق الخير الأخلاقي بين الناس وبهذا الإنجاز الميتافيزيقي أمكن إعادة صياغة الفلسفات الأخلاقية والاجتماعية للكونفوشية.

وفي التراث الكونفوشي الجديد كانت هناك محاولة لتقديم دعم ميتافيزيقي لوجهة النظر التي تقول إن الأخلاق هي موضوع الاهتمام المطلق^(٣).

(١) انظر: المرجع السابق ، ص ٣٢٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٣٢٥.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٤٠٦.

الفصل الثامن

أثر الكونفوشيوسية على المسلمين في الصين

بالنظر في أوضاع المسلمين عموماً في الصين نجد أن الحكومة الصينية تفرق بين المسلمين الصينيين الذي ينتشرون في أنحاء الصين، وبين المسلمين ذوي الأصول التركستانية (الإويغور) الذي يقيمون في تركستان الشرقية؛ حيث تتاح للمسلمين الصينيين بعض الحريات في الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية.

أما المسلمون في إقليم تركستان الشرقية (سينكيانغ)^(١) فلا يزالون يعانون من اضطهاد الحكومات الصينية؛ حيث يُمنعون من تدريس أولادهم العلوم الشرعية علانية، ويلجأ المسلمون إلى كهوف تحت الأرض لتعليم أولادهم العلوم الشرعية، ويكون مصير الأستاذ القتل أو السجن الطويل على أقل تقدير في حال القبض عليه.

ولا يكاد يوجد في تركستان أي جمعية خيرية أو معهد إسلامي، كما أن الحكومة الصينية تحاول دائماً منع التركستانيين من مغادرة البلاد أو إعطائهم جوازات سفر، وتقوم الحكومة بما يُسمى توطين الصينيين في داخل تركستان، وذلك عن طريق جلب ما لا يقل عن (٢٠ - ٣٠) أسرة سنوياً من الأسر التي لا تعود أصولها إلى تركستان - ويكونون من غير المسلمين - إلى تركستان وبناء مستوطنات لهم وتوظيفهم وتوطينهم بشكل كامل، وتهدف الحكومة من هذا

(١) إقليم سينكيانج أكبر أقاليم الصين تبلغ مساحته ١٧% من مساحة الصين واسمه الأصلي تركستان الشرقية، يقع غرب الصين. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص ٣٢٣.

===== الكونفوشيوسية في الصين =====
التوطين إقامة توازن بين عدد المسلمين وغيرهم في هذا الإقليم ذي الأغلبية المسلمة.

ويعود سبب هذا التفريق بين المسلمين الصينيين (الخوي) والمسلمين التركستانيين (الإويغور) إلى أن تركستان هي في الأصل إمبراطورية مسلمة احتلتها القوات الصينية، ولا يزال مسلموها يطالبون بالانفصال، ويشير بعض المراقبين إلى الأهمية الإستراتيجية التي تتمتع بها تركستان بحكم موقعها وكثرة ثرواتها، ومنها إنتاجها من النفط الذي لا يقل عن إنتاج دول الخليج النفطية، كما أن مساحتها تتجاوز (٨، ١) مليون كلم^(١).

ويشعر بعض المسلمين الصينيين بتحسن الأوضاع بعد وفاة الزعيم الصيني (ماو)^(٢) ذي القبضة الحديدية، ويمكن تلخيص أبرز المكاسب التي تحققت للمسلمين بعد موته في النقاط التالية:

١. سُمح رسمياً بالاعتقاد الديني.
٢. أعيد فتح المساجد وترميم بعضها على نفقة المسلمين.
٣. استؤنف التعليم في المساجد لأبناء المسلمين.
٤. سُمح لهم بالاحتفال بالأعياد؛ إذ يُمنح كل موظف مسلم إجازة في الأعياد، واستؤنفت بعثات الحج.
٥. تمكن المسلمون من إعادة جسور اتصالهم بإخوانهم في الأقطار الإسلامية عن طريق تبادل الزيارات وحضور بعض الندوات والمؤتمرات.

(١) http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id

(٢) ماو تسي تونغ (١٨٩٣-١٩٧٦م) من رجال الدولة في الصين ومن مؤسسي الحزب الشيوعي فيها، نادى بالثورة الثقافية. انظر المنجد في اللغة والأعلام، ص ٥١٧-٥١٨.

د. عالية صالح سعد القرني

٦. استطاع الشباب المسلم الصيني أن يسافر إلى بعض البلدان الإسلامية، للدراسة في المعاهد والجامعات الإسلامية بعد انقطاع طويل، وهذا يعدّ من أحسن الفرص التي أُتيحت لأبناء المسلمين.

٧. المشاركة في بعض الوظائف الحكومية - وإن كان جُلّها من الوظائف الصغيرة أو الخدمية.

أعيد فتح مطاعم المسلمين في كل المقاطعات والمدن.

٨. أُتيحت الفرصة - غير الرسمية - للشباب المسلم في الصين أن يقوموا بنشاطات دعوية، وإن كانت محدودة^(١).

أما بالنظر إلى موقف الكونفوشية من المسلمين في الصين فلم أعثر فيما اطّلت عليه من مراجع على صدام أو صراع بين الكونفوشية تحديداً والمسلمين في الصين، بل تشير تلك المراجع على صلة السلم مع الكونفوشية كتعاليم^(٢).

أما الاضطهاد والقتل والتشريد الذي تعرض له المسلمون في الصين فهو صادر عن الحكومة بوصفها دولة لا ديانة، وبخاصة مع دعوة الكونفوشية للأخلاق الفاضلة، وإن كان ثم أثر فلا بد أن يكون الأثر الأخلاقي الذي حث عليه الدين الإسلامي.

ذلك لأن تعاليم كونفوشيوس الممتدة من ألفي عام قد أثرت بشكل عام على ربع سكان المعمورة الذين يشكلون سكان الصين.

إلا أن المسلمين في الصين كانوا عرضة للتأثر بالكونفوشية وبالتقاليد الصينية عموماً، ومن ذلك:

(١) http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id

(٢) انظر: الفلسفة الشرقية : محمد غلاب، ص ٣١٤.

- يطلق على الإسلام - بطلب بعض المسلمين - (تشينغ تشن) بمعنى: الصفاء الحق، فالإسلام يعرف بهذه الصفة، وطريقة تعبير متأثرة بتعاليم كونفوشيوس القديمة التي تخاطب الناس بلغة القيم الأخلاقية والسلوكية^(١).
- اهتمام المسلمين في الصين بالأضرحة وإحياء ذكرى الميت في الثالث للوفاة وبعد أسبوع ثم بعد أسبوعين، وفي ذكرى الأربعين وفي كل عام، ثم إحياء الذكرى على نطاق واسع في العام العاشر، فتعظيم الأموات بهذا النحو المبالغ فيه عند مسلمي الصين هو في الحقيقة شاهد على عمق تأثير المسلمين بعقائد الكونفوشية القائمة على العقائد القديمة من عبادة الأسلاف والأبطال^(٢).

(١) انظر: الإسلام في الصين: فهمي هويدي، ص ١٩١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٤٠-٢٤١.

الخاتمة

بحمد الله تعالى انتهيت إلى خاتمة هذا البحث الذي خرجت منه بهذه النتائج:

١. اعترف الصينيون منذ أقدم عصورهم بوجود حاكم أعلى واحد فوق كل الأرواح، كما اعتقدوا أن الأحداث الكونية تتبع الأخلاق التي تسود الناس وملوكهم.

٢. اعتراف كونفوشيوس نفسه بأنه ليس قديسا بل حكيما يجعل معظم الباحثين في تاريخ الأديان يجمعون على أن الكونفوشيوسية أقرب إلى ميدان الفلسفة منها إلى ميدان الدين والعقائد. فهي لا تعد عندهم إلا نسقا أخلاقيا وسياسيا واجتماعيا استمدته من الثقافة الموروثة.

٣. الكونفوشيوسية التي هي إحدى الديانات المعاصرة الحديثة ترد أصولها ومعظم تعاليمها إلى كونفوشيوس، أما تأويلاتها فترد إلى تلاميذه وأتباعه.

٤. تستند العقيدة الكونفوشية إلى قسمين من الكتب، الكتب الخمسة القديمة قبل كونفوشيوس، والكتب الأربعة لكونفوشيوس.

٥. تقوم العقيدة الكونفوشية على تقديس إله السماء الأعلى ، وابن إله السماء والآلهة الخمسة وأرواح الأجداد والأبطال والنجمة القطبية، كما أنهم لا يؤمنون بجنة ولا نار، ولهم معتقد في القدر يقوم في مجمله على الجبر.

٦. نهجت الكونفوشية لدعوتها منهاجا أخلاقيا وداعيا إلى التربية والتعليم.

٧. يمارس الكونفوشيون طقوسا مأخوذة عن الهندوسية والبوذية، ولهم طريقة خاصة في الرهبة، كما يقومون بتقديس الخمسات، ويبالغون في تعظيم الموسيقى.

٨. ظهرت الكونفوشية الجديدة بوصفها حركة فلسفية وطنية بفعل عدة عوامل وإلهامات، هي: البوذية الصينية، والتطور الذي شهدته التاوية الجديدة، والتطور الذي شهدته مدرسة الأسماء، والتطورات الميتافيزيقية في مدرسة (الينج - إيانج) التفاعلية.

٩. ظهرت الكونفوشية الجديدة بطابع شكلي عام، وبطابع الفلسفات التي عاصرتها على يد كل من: فلسفة (شوتون - آي)، فلسفة المبدأ - الأخوين (تشينج)، فلسفة (تشو هسي)، فلسفة (وانج يانج - مينج)، فلسفة (تاي تشين).

١٠. لا يوجد صدام أو صراع بين أتباع الكونفوشية تحديداً والإسلام في الصين، أما الاضطهاد والقتل والتشريد الذي تعرض له المسلمون في الصين فهو صادر عن الحكومة بوصفها دولة لا ديانة.

١١. مخالفة العقائد الكونفوشية للعقائد الإسلامية الصحيحة من الإيمان بالله والكتب والقدر واليوم الآخر، وتأصيل الإسلام لفضايا الأخلاق ودعوته إلى التربية والعلم.

هذا والحمد لله رب العالمين، و سلام على المرسلين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الغر الميامين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً مزيداً.

المراجع

١. أديان العالم :هوستن سميث، ترجمة سعد رستم، دار الجسور الثقافية- حلب.
٢. الأديان في كفة الميزان : محمد الهاشمي، دار الكتاب العربي- القاهرة.
٣. الإسلام في الصين: فهمي هويدي، عالم المعرفة - الكويت.
٤. التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ، مطالعة في كتب علماء الملايو : رعوف شلبي ، دار الثقافة - الدوحة.
٥. درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط عام ١٣٩٩هـ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٦. الرد على المنطقيين: تقديم وضبط: د. رفيق العجم، ط ١، ١٩٩٣، دار الفكر اللبناني، بيروت - لبنان.
٧. العقائد: عمر عنايت، ط عام ١٩٢٨، دار العصر- مصر.
٨. الفكر الشرقي القديم: جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسن، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ط عام ١٩٩٥م، عالم المعرفة - الكويت.
٩. فلاسفة إنسانيون : كارل ياسبرس، ترجمة : عادل العوا ، منشورات عويدات - بيروت - لبنان.
١٠. الفلسفة الحديثة عرض ونقد: أحمد السيد علي رمضان، المكتبة الفيصلية- مكة المكرمة.

الكونفوشيوسية في الصين

١١. الفلسفة الشرقية: محمد غلاب ، ط عام ١٩٣٨م، مطبعة البيت الأخضر - القاهرة.
١٢. قاموس الأديان: أسعد السحمراني، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، دار النفائس - بيروت.
١٣. قصة الديانات: سليمان مظهر، ط عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، مكتبة مدبولي - القاهرة.
١٤. مجموع الفتاوى: جمع وترتيب عبد الرحمن محمد قاسم وابنه محمد، ط ١، ١٤٢٣هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.
١٥. مدخل لدراسة الأديان، محمد يسري جعفر، دون.
١٦. المعتقدات الدينية لدى الشعوب: جفري بارندر، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاري.
١٧. مقارنة الأديان: محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي - القاهرة.
١٨. المنجد في اللغة والأعلام: : ط ٣٧، دار المشرق، بيروت.
١٩. موسوعة السياسة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٨٧م، بيروت.
٢٠. الموسوعة العربية العالمية: ط ١، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض.
٢١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف مانع الجهنّي، ط ٤، ١٤٢٠هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض.

===== د. عالية صالح سعد القرني =====

٢٢. النظرية التربوية في الإسلام، محمد جميل خياط، ط عام ١٤٠٧هـ، مكة المكرمة.

٢٣. اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، يسر محمد سعيد ، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الثقافة - قطر.

مواقع:

<http://mahjoob.com/en/forums/printthread.php?>

•<http://www.iraqcenter.net/vb/showthread.php?t=>

http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm
-?id

•http://www.qomicis.com/farsi/library/tarikh_adyan/_alsin.htm

•http://www.qomicis.com/farsi/library/tarikh_adyan/_alsin.htm

•http://www.qomicis.com/farsi/library/tarikh_adyan/_alsin.htm

http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm
-?id

http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm
-?id

* * *

